ولما اضافه هنا الى الاسلام قيده به فعلم ان المراد به ملة الاسلام.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: رحمه الله فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا ﷺ المتضمن لشريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء[1]

الاسلام الخاص الذي جاء به النبي ﷺ فكان خاتم الأديان والرسالات ولا يقبل الله دينا سواه، وهو الدين:

المكمل من قبل الله سبحانه وتعالى.

والنعمة التامة على عباده الموحدين المطيعين.

والاسلام المرضي من الله تعالى كما جاء في الآية الكريمة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة ٣

وهو الذي بمقتضاه يقع الفصل يوم القيامة بين العباد قبولا وردًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران ٨٥

بالأدلة: أي اعتماد الدليل أثناء تعلم دين الإسلام بعيدا عن التقليد الذي لا ينفع صاحبه لا سيما في مسائل الاعتقاد وقديما قيل: مَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ[2] وقد شاع بين الناس جملة: (أنا مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم.) وهذا كلام لا طائل من ورائه وليس بحجة لقائله إذا كان يجهل دينه ولم يُقبل على تعلمه والعمل به.

فمن ملك أهلية العلم وأدواته فإنه لا يعذر بعدم تعلمه الدليل على إسلامه.

ومن كان أميا عاميا فإنه يؤاخذ من جهة أنه سأل عن طعامه وشرابه ومركوبه ومنكحه ولم يسأل عن دينه الذي هو أهم مسؤول عنه في حياته الدينية والأخروية. لاسيما اذا كان يعيش في بيئة وجد فيها أسباب التعلم من

---

[1] مجموع الفتاوي: (94/3)

2 قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَيْرِ «أَخْبَرَنَا» وَ «حَدَّثَنا» فَقَدْ أَحَالَكَ: إِمَّا عَلَى خَيَالِ صُوفِيٍّ أَوْ قِيَاسٍ فَلْسَفِيٍّ، أَوْ رَأْيِ نَفْسِيٍّ، فَلَيْسَ بَعْدَ القُرْآنِ وَ «أَخْبَرَنَا» وَ«حَدَّثَنَا» إِلاَّ شُبُهَاتُ المُتَكَلِّمِينَ، وَآرَاءُ المُنْحَرِفِينَ وَخَيَالاَتُ المُتَصَوِّفِينَ وَقِيَاسُ المُتَفَلْسِفِينَ، وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلاَ دَلِيلَ إِلَى اللهِ وَالجَنَّةِ سِوَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْحَبْهَا دَلِيلُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الجَحِيمِ وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [«مدارج السالكين» لابن القيم(468 /2) :].

علماء وطلبة علم ووسائل تمكنه من السؤال ومعرفة ما يحتاجه في دينه بأيسر السبل واقصر الطرق في ظل وجود هذه الآلات الناقلة لدروس العلماء الثقات الأحياء منهم حفظهم الله تعالى وأبقاهم على الجادة ثابتين متمسكين بالمنهج القويم والأموات منهم رحمهم الله تعالى وحشرهم في زمرة الصالحين .

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ النحل ٤٣ ولا يقتصر طلب الدليل على معرفة الاسلام فقط. بل يجب أن يطلب الدليل الصحيح في كل مسائل الدين ،أعني في مسائل الاعتقاد والعبادة والمعاملة والأدب والسلوك.

وكأن سائلا سأل الشيخ رحمه الله: ما هو هذا الإسلام الذي يجب على كل مكلف معرفته معتمدا في ذلك على الأدلة الصحيحة الواضحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله هو: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ. فالشيخ رحمه الله فسر الاسلام بثلاثة أمور:

أولا: الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد الخالص بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وأسماء وصفات .

ثانيا: الانقياد له بالطاعة وعدم الاعتراض على أمره ونهيه وحكمه ﷻ.

ثالثا: الخلوص من الشرك بجميع أنواعه وما يوصل إليه من أسباب ووسائل وذرائع.

ومعنى الاستسلام لله بالتوحيد: ولو قال الاسلام لله بالتوحيد لصح ذلك لانهما بمعنى واحد. أي الخضوع له والتذلل له ﷻ محبة وتعظيما وإجلالا، وذلك بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته حق التوحيد، والمقصود الأخص توحيد الألوهية أي إفراده ﷻ بالعبادة لأن ذلك هو محل الخصومة والنزاع بين الرسل وأقوامهم، كما جاء ذلك مبين في القرآن العظيم.

والانقياد له بالطاعة: أي الانصياع لأمره فيمتثل أمره وينتهي عن نهيه وأن يتلبس بطاعة الله ﷻ في كل ما أمر به وينتهي عن كل ما نهى عنه دون معارضة أو منازعة أو مخالفة، ظاهرا وباطنا حالا وقالا.

والبراءة[1] من الشرك: أي التخلص من الشرك بكل أنواعه وتجنب أسبابه ووسائله المفضية إليه. وكذلك التبرء من أهله المشركين، وتجنبهم إلا أن تدعوهم الى التوحيد ، قال الله ﷻ في كتابه العزيـز: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الممتحنة ٤. ولذلك قيد معنى الإسلام الصحيح أنه لا يتحقق الا بالبراءة من الشرك وأهله، وأصل البراءة بغض القلب للشرك وأهله، وما يتبع ذلك: نكفر من كفره الله ﷻ ورسوله ﷺ ومعاداتهم وبغضهم وعدم مقاربتهم ومساكنتهم ومخالطتهم الا فيما أباحه الشرع لنا وواجبنا نحوهم دعوتهم الى الدخول في دين الإسلام بالوسائل الصحيحة المباحة وترغيبهم في ذلك وجهادهم عند مشروعية الجهاد بتوفير شروطه وانتفاء موانعه مع مراعاة زمانه ومكانه ووسائله المشروعة.

قال المصنف رحمه الله: وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

(هو ثلاث مراتب): وهو أي دين الإسلام الخاص الذي بعث النبي ﷺ وهو الذي تقع به المحاسبة في القبر ويسأل عنه، قال ابن تيمية رحمه الله في لاميته:

ولكل حي عاقل في قبره ❁❁❁عمل يقارنه هناك ويسأل.

يعني :كل إنسان إذا دخل قبره فإن عمله سيكون معه مقارناً له، ويسأل عن ربه وعن نبيه وعن دينه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

معنى (مراتب) أي: منازل ودرجات بعضها أكمل أو أعلى من بعض وهي متقاربة:

1. **مرتبة الإسلام:** وهي البوابة الأولى التي يدخل منها الكافر الى دين الإسلام وذلك بنطق الشهادتين والحكم لأهلها بالإسلام.

[1] ورد في بعض النسخ والخلوص من الشرك والعبارة بالبراءة من الشرك وأهله أدل على المراد لان الخلوص من الشرك وهو الخروج منه دون الخلوص من أهله. ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٨﴾ [الزخرف ٢٦-٢٨]

2. **ومرتبة الإيمان:** الذي يبني على علم نافع ويثمر عملا صالحا.

3. **ومرتبة الإحسان:** وهو الاتيان بالشيء على أكمل وجوهه في الاعتقاد والقول والعمل.

وأهل الإسلام لا يخلو حالهم من إحدى هذه المراتب الثلاث، وقد ينتقل المسلم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها أو أدنى منها بحسب طاعته لله ﷻ، والتزامه بشرعه ووقوفه عند جدوده وأول تلك المراتب الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان. فإن المحسن مؤمن، والمؤمن مسلم فلا يلزم أن يكون المسلم مؤمنا والعكس صحيح ولا يلزم أن يكون المؤمن محسنا والعكس صحيح.

- المرتبة الاولى الاسلام: تتعلق بالأعمال الظاهرة والتي تظهر على اللسان والجوارح
- المرتبة الثانية الإيمان: تتعلق بالاعتقادات الباطنة المتمثلة في أعمال القلب وأقواله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: رحمه الله فلما ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج. وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقال أيضا: ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ; لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان[1]

- المرتبة الثالثة الاحسان: مرتبة إتقان عمل الباطن وعمل الظاهر وتحقيق هذه المرتبة يكون إما على أعلى الدرجتين وهي:

الدرجة الأولى: عبادة الله كأنك تراه، وهذا «مقام المشاهدة» الجامع لمقامات الإسلام والايمان والاحسان، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله ﷻ بقلبه حيث يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المرغوب في الوصول اليه.

الدرجة الثانية: «مقام المراقبة» وهي أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله ﷻ إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله ﷻ؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله ﷻ وإرادته بالعمل غير الله ﷻ

[1] مجموع الفتاوى (14/7 و9/7)

هذه المراتب الثلاث يدخل بعضها في بعض فالإسلام أوسع دائرة من الإيمان والإحسان وأخص منه الإيمان وأخص منه الإحسان، وأهلها جميعا يدخلون الجنة إما ابتداء دون حساب ولا عذاب وإما تبعا بعد قضاء ما عليهم من التبعات مع تفاوت درجاتهم في نوال نعيم الجنة.

قال المصنف رحمه الله (ولكل مرتبة أركان): أي تقوم عليها والركن الجانب القوي في البناء الذي لا يقوم الشيء ولا يثبت بدونه وهو جزء منه.

قال المصنف رحمه الله: فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:(شَهِدَ اللّهُ أَنّهُ لاَ اله إِلاّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الّذِي يُوَضّحُهَا

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنّنِي بَرَآءٌ مّمّا تَعْبُدُونَ * إِلاّ الّذِي فَطَرَنِي فَإِنّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: 26 ـ 28].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ)

وَدلِيلُ شَهَادَةِ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رّحِيمٌ) [التوبة: 128].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

(فأركان الإسلام خمسة): لا يستقيم الإسلام ولا يثبت بدونها وأهمها:

ركن الشهادتين: (شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ) ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أركان الإسلام جملةً وهذا أسلوبه المنتقى من القرآن إجمالا

وتفصيلا [1]، ثم بدأ يدلل على كل ركن منها فجعل الإسلام كالبناية يقوم على خمسة أعمدة أساسية لا يستقر البناء إلا بوجودها، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين : بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ :شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ.

قال الحافظ الحكمي [2] رحمه الله في سلم الوصول:

الإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ❁❁❁ وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ

فَقَدْ أَتَى :الْإِسْلَامُ مَبْنِيٌّ عَلَى ❁❁❁ خَمْسٍ فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا

أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ ❁❁❁ وَهْوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَقْوَمُ

رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ❁❁❁ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمْ

وَثَانِيًا إِقَامَةُ الصلَاةِ ❁❁❁ وَثَالِثًا تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ❁❁❁ وَالْخَامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

قـــوله رحمه الله: فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران، 18].

والمراد بالشهادة:(**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**) وبدأ بذكر الشهادتين لأهمية موقعها من بقية الأركان وهي العمود الأساس في البناء ولا يصح قول ولا عمل الا بها، وهي مركبة من جزئين متلازمين لا يصح أحدهما إلا بمرافقة الآخر فهما متداخلان متكاملان لا يصح اسلام المرء الا بمجموعهما اقرارا وقولا وعملا:

الأول: يتضمن (**النفي والإثبات**)[3] وهو حق محض خاص بالله تعالى. لا ينبغي أن يشاركه فيه أحد أيّا كان

[1] فقد أجمل الله القرآن كله في الفاتحة والفاتحة في: إياك نعبد وإياك نستعين وأجمل في بداية سورة البقرة التكلم على المسلمين والكافرين والمنافقين وفصل في سورة البقرة حال اليهود وفي آل عمران حال النصارى والنساء حال المؤمنين وفي براءة حال المنافقين. زدتها شيخي لتوضيح المعنى والأمر اليك وبارك الله فيك ونفع بك

[2] توفي الشيخ حافظ رحمه الله بمكة المكرمة السبت 18– 12 – 1377هـ إثر مرض ألمّ به ودفن فيها، وله (35) سنة.

[3] معناه نفي الإلهية والعبودية من غير الله تعالى، مما يعبد من دونه بالباطل، وإثبات الإلهية، العبودية لله، وحدة دون ما سواه.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ البينة ٥.

قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ التوبة ٣١.

الثاني: الإقرار بعموم رسالة (محمد ﷺ)، وتجريد المتابعة له في الاعتقاد والقول والعمل. وقبول شرعه وحكمه من غير حرج ولا ضيق ولا اعتراض بل يجب التسليم والرضا بكل ما جاء به من الاخبار والاحكام.

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة التي أوردها المصنف رحمه الله دليلا على بيان معنى الشهادتين: أنها تضمنت أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به والشهادة الحقة لا تكون صحيحة مقبولة إلا إذا ضمت هذه المراتب الثلاث:

1. أن يعتقد ويعلم بقلبه صحة المشهود به وهو إقرار القلب بها.
2. أن يتكلم بما يشهد به بلسانه ولو معه نفسه وهو إقرار باللسان.
3. أن يعلم غيره بما يشهد به ويبينه له فيكون معنى الشهادة هنا العلم بأن لا إله إلا الله والنطق بذلك والإعلام به. ووجه الاستدلال من الكريمة السابقة على وجوب الشهادة لله ﷻ:

أن الله ﷻ شهد لنفسه: أنه لا إله إلا هو المنفرد بالإلهية وكفى به شهيدا، وشهادة الله تتضمن الحكم والقضاء والإلزام.[1]

وشهد له بذلك الملائكة: وهم عمار السماء المكرمون المطيعون العابدون الذين لا يفترون.

وشهد له بذلك أيضا أولو العلم: من الثقلين، وفيها منقبة لهم فأنتبه

فكان الله ﷻ أعظم شاهد على أعظم مشهود، وهو شهادة التوحيد. ثم ضم إلى شهادته شهادة أعظم وأكرم مخلوقاته وهم الملائكة الكرام المقربون. ثم ثلث شهادة أهل العلم الربانيين الأثبات، وذلك يعد مكرمة لهم، ومنقبة استحقوا نيلها

[1] فإذا شَهِدَ اللهُ أنَّه لا إلهَ إلَّا هو فقد أخبَرَ وبَيَّن وأعلَم وحكَم وقضى أنَّ ما سِواه ليس بإلهٍ، وأنَّ إلهيَّةَ ما سِواه أبطَلُ الباطِلِ، وإثباتُها أظلَمُ الظُّلْمِ، فلا يستَحِقُّ العِبادةَ سِواه، وذلك يَستلزِمُ الأمرَ باتخاذِه وَحْدَه إلهًا، والنَّهيَ عن اتخاذِ غيرِه معه إلهًا. يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (422/3). قال ابنُ القَيِّم: (الأدِلَّةُ قد دلَّت على أنَّه سُبحانه وَحْدَه المستَحِقُّ للعِبادةِ، فإذا أخبَرَ أنَّه هو وَحْدَه المستَحِقُّ للعِبادةِ، تضَمَّنَ هذا الإخبارُ: أمْرَ العبادِ وإلزامَهم بأداءِ ما يَستحِقُّه الرَّبُّ تعالى عليهم، وأنَّ القيامَ بذلك هو خالِصُ حَقِّه عليهم، فإذا شَهِدَ سُبحانه أنَّه لا إلهَ إلَّا هو، تضَمَّنَت شهادتُه الأمرَ والإلزامَ بتوحيدِه. نقلت هذا الكلام شيخنا لفهم مرادك فالأمر صعب على الطالب والأمر لك وجزاك البارك خير الجزاء

بسبب شهادتهم الحقة لله ﷻ بالوحدانية الكاملة، وختم سبحانه هذه الشهادة بأن وصف نفسه بالعزة والحكمة توكيد لاستحقاق إفراده بالعبودية وتنزيهه عن كل العيوب والنقائص، ثم أكد ذلك كله بقول (لاَ إِله إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

ومعناها لا معبود بحق الا الله وكأن سائلا يسأل: ما معنى لا إله إلا الله ؟، فأجابه المصنف رحمه الله قال: وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ. وزاد الشيخ رحمه الله توضيحا لمعنى الشهادة فقال: (لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.[1]

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: 26 ـ 28].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

اعلم أن النفي المحض ليس توحيدا خالصا لله ﷻ لأنه عدم محض وليس شيء وهو تعطيل محض ولا يعبر عن شيء، كما أن الإثبات المحض ليس توحيدا خالصا لله ﷻ، لأمه يحتمل المشاركة بل لابد في هذه الكلمة من "نفي واثبات"، وقد استدل الشيخ رحمه الله بتوحيد الربوبية الذي استلزم توحيد الألوهية فمن أظلم الظلم أن الذي ليس له شيء من الملك يملكه ويدبره ويتصرف فيه أن يجعل شريكا مع الله في عبادته الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما.

وهذه الكلمة التي أُمر النبي ﷺ أن يدعو إليها أهل الكتاب وهي أيضا التي طالب بها النبي ﷺقومه العرب خاصة والناس عامة وكان يطوف بالأسواق ويعترض الناس في مواسم الحج والعمرة ويقول لهم: قولوا لا اله الا الله تفلحوا وهي نفسها التي طالب النبي ﷺعمه أبا طالب وهو على فراش الموت لينال بها شفاعته فيه يوم القيامة. وهي :

- الكلمة الفارقة بين الإسلام والكفر.
- وهي كلمة التقوى.
- وهي العروة الوثقى.
- وهي الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

[1] لا : نافية للجنس تعمل عمل إن واله: اسم لا منصوب وخبرها محذوف تقدير حق أو بحق. والا: اداة استثناء والله ﷻ: مستثنى وهو بدل من الضمير المستتر في حق. الخبر المحذور. فلو قدرناه الخبر بموجود أو مخفي أو خالق أو غيرها فانه لا يستقيم معنى كلمة لا إله الا الله. ما دام هناك آلهة كثيرة تعبد مع الله ﷻ بدليل القرآن العظيم في قوله الله ﷻ:﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ مود ١٠١ . فلا بد هنا من ضابط كلمة حق أو بحق. اي ان الذي يعبد بحق هو واحد وهو الله ﷻ وما عبد من دونه من الالهة فعبد باطل وبظلم. كما قال الله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ الحج ٦٢

- وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه لترجع إليه ذريته.
- وهي الكلمة التي أوصى بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنيه ويعقوب عليه الصلاة والسلام.
- وهي التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض.
- ولأجلها خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الجهاد، واستحلت الدماء والأموال وسُبيت النساء والذراري.
- ولأجلها توضع موازين القسط يوم القيامة وتنشر الصحف ويقع الحساب وتفتح الجنة أبوابها لاستقبال أهلها وعمارها وكذا النار.
- وعليها يترتب الثواب والعقاب والخلود في النار أو النجاة منها والخلود في الجنة.
- وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

وهذه الكلمة لا يمكن أن تنفع قائلها الا اذا حقق شروطها وهي كما .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته سُلَّمُ الوصول:

العلم واليقين والقبـــــول ❁❁❁والانقيـاد فأدر ما أقول

والصـدق والإخلاص والمحبة ❁❁❁وفقك الله لما أحبـــه.

الشروط	النواقض
العلم	الجهل
اليقين	الشك
القبول	الرد
الانقياد	الاعراض
الصدق	الكذب
الإخلاص	الشرك
المحبة	ما يضاده

وزاد بعضهم شرطا ثامنا وهو الكفر بما يعبد من دون الله كما ورد بذلك الخبر الصحيح.

ثم قـال الشيخ رحمه الله: وَدلِيلُ شَهَادَةِ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 128].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

اللام في قوله لقد: هذه اللام تسمى الموطئة للقسم لأن هناك قسمًا محذوفًا تقديره (والله) لقد جاءكم رسول من أنفسكم، والمقسم هو الله تعالى. وهذا لتأكيد الكلام المذكور في نفس السامع، وذلك بمؤكدات ثلاث اللام والقسم وقد

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: أن يعتقد أن محمدا ﷺ أرسله الله بدين الإسلام اعتقادا يصحبه قولاً باللسان إخبار عما يقن في قلبه واستقر، وهذه الآية التي ساقها المصنف رحمه الله شاهدة على ذلك واضحة الدلالة على المراد، ومن الأدلة الشاهدة على رسالة النبي ﷺ

ومن القرآن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ المنافقون ١

١ــ والواجب من الشهادة لله تعالى هو: الشهادة له بالتوحيد الخالص.

٢ــ والواجب من الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو: الشهادة له بالرسالة.

فهذان المعنيان هما المتعلقان بركني الشهادة التي عليها مدار قبول اسلام المرء أو رده.

وسبق تقرير أن الشهادة لا تكون صحيحة مقبولة إلا باجتماع ثلاثة أمور فيها وهي:

١ــ علم الشاهد بها.

٢ــ اعتقاد صحة ما شهد به.

٣ــ تكلم الشاهد بذلك ونطقه به ولو مع نفسه.

وبناء عليه فيجب أن يعلم العبد ويعتقد ويتكلم ويخبر بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق إنسهم وجنهم أنزل عليه الوحي فبلغ ذلك أتم البلاغ.

وهناك من يفسر شهادة أن محمد رسول الله بمقتضاها كما فعل "المصنف" حيث قال: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.)، فمعنى هذه الشهادة من طريق اللزوم بأربعة أمور هي:

1. طاعته فيما أمر: فإن ما جاء به النبي ﷺ:
   أ. إما أن يكون خبرا فالواجب فيه التصديق.
   ب. وإما أن يكون أمرا فالواجب فيه الانقياد والتسليم، وقد يكون الأمر إما:
      1. بالفعل أو بالترك.

(فالواجب في الأخبار التصديق والواجب في الأحكام الطاعة والانقياد والتسليم).

2. فإن لم يطع الإنسان "رسول الله ﷺ: أو اعتقد أنه لا يطاع فان ذلك يعد تكذيبا منه لشهادته التي نطق بها وقد يصل الى نقض شهادته فيكفر بذلك ويخرج من ملة الإسلام..
3. أما إذا اعتقد أنه يجب طاعته فيما أمر لكنه خالف لغلبة هواه يكون عاصيا، قد نقص تحقيقه لشهادة أن محمدا ﷺ بقدر مخالفته.

ت. وما أمر به ﷺ على نوعين:
   1. ما كان في سبيل الوجوب فتجب طاعته فيه.
   2. وما كان على سبيل الاستحباب فيستحب الطاعة فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: «الشهادة لرسول الله بأنه نبي لا تُدخل الإنسانَ في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية دينًا[1] لم تُدْخِلهُ هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمَّل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وأنه صادق، ولم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علِمَ أن الإسلام أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا.[2]

[1] في قصيدته المعروفة: لامية أبي طالب في نصر رسول الله والتي مطلعها: خليليَّ ما أُذْنِي لأوَّلِ عاذلٍ***بِصَغْواءَ في حقٍّ ولا عندَ باطلِ

[2] زاد المعاد.(3 /638)

2. تصديقه فيما أخبر: كما أن الأمر يستوجب الانقياد والطاعة كذلك الخبر يستوجب التصديق، فما اخبر به النبي ﷺ من الغيب هو وحي من عند الله فيما يتعلق بالأخبار عن الله ﷻ وأسمائه، وصفاته، والجنة، والنار، وقصص الماضين، فالمؤمن يصدق النبي ﷺ بما أخبر به سواء عقل ذلك أم لم يعقله، وسواء أدرك بنظره أو أم لم يدركه وسواء عرف الحكمة من ذلك أم لم يعرفها .

3. اجتناب ما نهى عنه وزجر: قال الله ﷻ: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ). الحشر ٧ والتعبير بلفظ (اجتناب) أولى من (ترك) وذلك بترك المحرمات، وكذلك المشتبهات والمعنى اجتناب المنهيات وما يوصل اليها من الوسائل والأسباب.

وألا يعبد الله الا بما شرع: أي لا يعبد الله بالأهواء والمحرمات والبدع، وآراء الرجال، وكذا الاستحسانات العقلية المختلفة وإنما تتحقق عبادته تعالى من طريق واحدة هي اتباع النبي ﷺ أي بما شرع الله على لسان نبيه محمد ﷺ لأنه يمثل الطريق الوحيد الذي من خلاله يعرف الحلال والحرام والأحكام وغيرها.

ومقتضى هذه الشهادة أيضا ألا يعتقد المؤمن أن لرسول الله ﷺ حقا في الربوبية أو شيئا من العبادة يمكن أن تصرف إليه بل هو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام ٥٠ فهو عبد مأمور يتبع ما أُمر به، ولا يأمر الناس بعبادته إنما يأمرهم بعبادة الله وحدة كما قال الله ﷻ : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران ٧٩

الخلاصة: المقصود من معرفة الشهادتين الركن الأول من أركان الإسلام: العلم بمعنى الشهادتين مع النطق بهما باللسان الا أن يعجز على ذلك، والعمل بما دلت عليه، هذه الشهادة الحقة في مجال الاعتقاد والعبادة والمعاملة والاحكام والسلوك فإنها لا تنفع صاحبها الا بعد العمل بما اقتضته من تبعات في جميع الاحوال

قال شيخ الاسلام رحمه الله:(وكلما كان الرجل أتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول)[1].

ورحم الله الامام الزهري حيث قال: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. [2]

قال المصنف (رحمه الله):" وَدَلِيلُ الصّلاةِ، وَالزّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى) :وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ حنفاء وَيُقِيمُوا الصّلاةَ وَيُؤْتُوا الزّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيّمَةِ) البينة: 5.

وهذه الآية عامة جامعة شاملة لجميع أنواع العبادة التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى فيجب أن يكون فيها مخلصا لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له حنيفا مائلا عن الشرك الى التوحيد الخالص متبعا لشريعته سبحانه وتعالى أمرا ونهيا فعلا وتركا.

وذكر الصلاة والزكاة هنا من باب عطف الخاص على العام لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أفراد العبادة، والتخصيص بذكرها هنا لما لهما من أهمية ومكانة في الدين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية، وهما قرينتان في كتاب الله كثيرا ما يتلازمان في مواطن كثيرة في كتاب ربي سبحانه وتعالى.

وذكرهما هنا إلى جانب التوحيد تنبيها على أنهما لا يصحّان بدون توحيد الله تعالى وهما من أعمال الطاعات الدالة على تحقيق توحيد العبد لله سبحانه وتعالى

لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ البينة ٥ .أي دين الملة القيمة المستقيمة الحقة التي لا اعوجاج فيها.

لذلك قال "الصديق" رضي الله عنه فيمن فرق بينهما من جهة الترك أو الجحود وهاك القصة :(لَمَّا تُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وكانَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقدْ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَها فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ

[1] مجموع الفتاوى 17/ 498

[2] رواه البخاري تعليقا :(2738/6)

إِلَّا بِحَقِّهِ، وحِسَابُهُ علَى اللَّهِ فَقالَ: واللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهَا قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: فَوَاللَّهِ ما هو إلَّا أنْ قدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ).[1]

وهذه الثلاثة المذكورة في أركان الإسلام (الشهادتان والصلاة والزكاة)، هي أعظم أركان الإسلام وكثيرا ما يأتي في الكتاب والسنة الجمع بينها كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ التوبة ١١ معناه: إن تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فهم إخوان لكم في الدين، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

قال المصنف (رحمه الله): ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (يأيها الّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ) [البقرة: 183].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنّ اللّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: 97].

وهنا ذكر الشيخ رحمه الله الركن الرابع والخامس من أركان الإسلام وهما الصيام والحج:

فالصيام: هو الإمساك عن المفطرات تعبدا لله ﷻ من طلوع الفجر الى غروب الشمس وقد أوجبه الله ﷻ على من سبقنا من الأمم وفيه دليل أنها عبادة محبوبة لله مرضية عنده وغايتها تحصيل تقوى الله ﷻ والتقرب إليه والسعي لنيل مرضاته كما قال تعالى ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ البقرة ١٨٣.

الحج: فقد أوجبه الله ﷻ على المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة (٩هـ)، ورتب ذلك على توفر القدرة والاستطاعة، جعل ذلك مرة في عمر المسلم، وبعدها يكون حج تطوع، وجاء أن الحج المبرور لا جزاء له إلا الجنة. ومن ملك القدرة ولم يحج فإنه يكفر بذلك كفرا أصغر على قول جمهور العلماء إلا إذا أنكر وجوب الحج

[1] الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم | 1399 :

فإنه يكفر كفرا أكبر قال الله تعالى : ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾]آل عمران ٩٧[.

قال المصنف (رحمه الله): الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ:

الإِيمَانُ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: 177].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[القمر: 49].

ذكر الشيخ رحمه الله أن دين الإسلام "ثلاث مراتب": الإسلام: وقد بينه، ثم قال المرتبة الثانية، وهي الإيمان:

والإيمان في اللغة: التصديق الجازم والإقرار المتبوع بالخضوع والانقياد.

الإيمان شرعا: قول وعمل والمشهور عند علماء السنة:(الايمان قول وعمل)، وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، منهم أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام.[1]

الايمان: شرعا اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

قال: الامام الحافظ المقرئ عالم الاندلس أبو عمرو عثمان القرطبي الذي يعرف بابن الصيرفي رحمه الله (371هـ..444هـ).

وبعد :فالإيمان قول وعمل ❁❁❁ ونية عن ذاك ليس ينفصل

هو على ثلاثة مبني ❁❁❁ خلاف ما يقوله المرجي

فتارة يزيد بالتشمير ❁❁❁ وتارة ينقص بالتقصير

[1] شرح كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لابي القاسم اللالكائي ت:(418هـ) (م1/776)

وقـــــال: أبو زكريا جمال الدين يحي بن يوسف بن منصور الصرصري البغدادي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ (588هـ_656هـ)

واعتقد الايمان قولا مسددا❁❁❁ وأعمال صدق في الصحائف تودع.

يزيد بفعل الخير من كل مؤمن❁❁❁ وينقص بالعصيان فهو ممزع

وايماننا بضع وسبعون شعبة❁❁❁حديث صحيح النقل لا يتضعضع.

وقال: أبو محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ :

ايماننا بالله من ثلاثة❁❁❁عمل وقول واعتقاد جنان

ويزيد بالتقوى وينقص بالردى❁❁❁وكلاهما في القلب يعتلجان.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ❁❁❁وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ

وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ ❁❁❁هَلْ أَنْتَ كَالْمَلَكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ ❁❁❁لَمْ يُفْ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ

لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعْلِي ❁❁❁إِيمَانُهُ مَازَالَ فِي انْتِقَاصِ

وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ ❁❁❁مُخَلَّدٌ،لَمْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي

تحت مشيئة الْإِلَهِ النَّافِذَهْ ❁❁❁إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ آخَذَهْ

بِقَدْرِ ذَنْبِهِ،وَلَمْ الْجِنَانِ ❁❁❁يَخْرُجْ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ

قال الإمام أبو بكر بن داود السجستاني(316هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: في حائيته.

وقل :إنما الإيمان قول ونية ❁❁❁وفعل على قول النبي مصرح

وينقص طوراً بالمعاصي وتارة ❁❁❁بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم❁❁❁فقول رسول الله أزكى وأشرح

ولا تكُ من قوم تلهو بدينهم ❁❁❁ فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ❁❁❁ فأنت على خير تبيت وتصبح

قال ابن تيمية رحمه الله: والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1]

وقال رحمه الله أيضا: أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[2] انتهى.

والمرجئة وهم كل من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة في مُسمّى الايمان وهم أربعة طوائف:

1. أولا: **غلاة المرجئة** وهم هؤلاء الجهمية يقولون الايمان مجرد المعرفة والكفر: جهل الرب بالقلب. والجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي الراسبي (128هـ) الذي نشر مذهب الجهمية، وتعريفهم هذا أفسد ما قيل في تعريف الإيمان وأبطله وأشده كفراً وضلالاً وبعداً عن الحق. وألزمهم العلماء بناء على هذا التعريف أن إبليس مؤمن؛ لأنه عرف ربه بقلبه، قال الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الحجر:٣٦ .

قال أبو محمد الحسن بن على بن خلف البربهاري رحمه الله (349هـ): من قال الأيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الارجاء كله[3] انتهى

2. ثانيا: **الاشاعرة**[4] يقولون الايمان هو التصديق في القلب فقط ولو لم ينطق باللسان.

---

[1] مجموع الفتاوى(505 / 7) "

2 مجموع الفتاوى (672 / 7)

[3] شرح السنة للبربهاري (ص123)

[4] هم فرقة اسلامية تنتسب الى الامام ابي حسن الاشعري (324هـ) في مرحلته الثانية التي خرج فيها من الاعتزال. منهجهم اعتمد طريقة الكلام في الاستدلال على مسائل الدين. وهم يقدمون في ذلك البراهين العقلية على الادلة النقلية. لا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة. ويؤولون الصفات الخبرية الالهية. وينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى. وغيرها مما خالفوا فيه مذهب أهل السنة والجماعة ومثاله: تفسير لا إله في كلمة التوحيد بمعنى (الخالق والمخترع) وكذا تأويل هذه صفة الاستواء والمجيء والرؤية ونحوها. والحق أنهم لا يدخلون في اهل السنة وجماعة أهل السنة والجماعة عند كثير من العلماء

3. ثالثا: **الكرامية**[1] يقولون الايمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بقلبه. وهذا يلي مذهب الجهم في الفساد، يقولون: إن الإنسان إذا نطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذباً بقلبه فهو مخلد في النار، فيجمعون بين الأمرين المتناقضين، فيقولون: إذا نطق المنافق بالشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان ومع ذلك يخلد في النار. وعللوا ذلك فقالوا: مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه نطق بلسانه، ويخلد في النار؛ لأنه كذب بقلبه.[2]
4. رابعا: **مرجئة الفقهاء** يقولون الايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب ولا تدخل الاعمال في حقيقة الايمان مع الإقرار بأن تارك الواجب يعرض للذم والعقاب.

قال الشافعي رحمه الله: ﴿كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر، وقد نقله عنه شيخ الإسلام في كتابه الإيمان﴾.

وهذا التصديق: ﴿إذا لم يكن معه طاعة لأمره، لا باطناً ولا ظاهراً، ولا محبة لله، ولا تعظيم له، لم يكن ذلك إيماناً﴾[3].

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

قال ابن تيمية رحمه الله: ﴿فمجرد علم القلب بالحق ان لم يقترن به عمل القلب بموجب مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه﴾[4]

SUBSCRIBE LIKE SHARE

وقد قرر العلماء رحمهم الله أن:

1. هذا التصديق مع عمل القلب هو أصل من أصول الايمان وأنه أصل للقول الظاهر.
2. كما أن عمل القلب أصل لعمل الجوارح.
3. قول اللسان: هو القول الظاهر الذي لا نجاة للعبد الا به وهو التكلم بكلمة الاسلام وغيرها من التسبيح والتكبير والتهليل والذكر فمن لم يتكلم بالشهادتين مع القدرة فهو كافر ظاهرا ولو أقر بقلبه.
4. عمل القلب: النية والإرادة والخضوع لله ولأمره والرهبة والرغبة وغيرها من الأعمال القلبية المتضمنة للذل والخضوع والمحبة والتعظيم.

---

[1] هي فرقة اسلامية كلامية من فرق المرجئة، تنتسب الى محمد بن كرام السجستاني(655هـ) وتخالف اهل السنة الجماعة مسائل عقدية كثيرة منها مفهوم الايمان حيث جمعوا بين قول المرجئة والجهمية وتوافقوا في ذلك فالإيمان عندهم يقتصر على قول اللسان دون معرفة القلب ويقولون بالتجسيم ولا يعدون من أهل السنة والجماعة.

[2] فانتبه الى هذا الخلط العظيم واحمد الله الكريم أن كنت من أهل السنة والجماعة سلفي بإذن الله جل وعلا

[3] مجموع الفتاوى 534/7

[4] مجموع الفتاوى 271/15

قال البخاري رحمه الله: لقيت ألف رجل من أهل العلم فما رأيت أحدا منهم يختلف إن الإيمان قول وعمل [1] والمراد:

بالقول:

- قول القلب: فهو الاعتقاد.
- وقول اللسان: فهو النطق والإقرار والبيان والإظهار.

العمل:

- عمل القلب: ما يقوم به من عبادات قلبية مثل:(الخوف، والرجاء، والخشية..... وغيرها)
- وعمل الجوارح: (كالصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد ..... وغيرها)

وقال بعضهم الإيمان خمس نونات :(اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان).

قال العلماء رحمهم الله أن هذا الإيمان الشرعي هو الذي حصل به التصديق الجازم والإقرار المتبوع بالخضوع والانقياد فهو من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع وصارت حقيقتها الشرعية ما جرى على لسان الشرع؛ والإيمان هو واحد من هذه الأسماء، والإيمان كثيرا ما يأتي في القرآن ويراد به المعنى اللغوي وكذا يأتي ويراد به المعنى الشرعي:

يرد الإيمان في القرآن بالمعنى اللغوي، **ويتعدى باللام:**

- كقول الله عز وجل: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يوسف ١٦-١٧.
- و قوله عز وجل: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العنكبوت ٢٦، ونحو ذلك.

أما الإيمان الشرعي فإنه يأتي **ويتعدى بالباء:**

1 ذكره ابن حجر في الفتح وصححه (60/1)

كقول الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ البقرة ٢٨٥.

وقوله ﷻ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ البقرة ١٣٧.

وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ العنكبوت ٤٧-٤٨

وهذا الايمان الشرعي تارة يُراد به الاعتقادات الباطنة وهو الذي يناسب المرتبة الثانية وذلك إذا ذكر مقترنا بالإسلام، والإحسان وأما إذا أفرد فإنه يدخل فيه معنى الإسلام والإحسان.

قال الشيخ رحمه الله: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ. هذا الحديث رواه مسلم بالشك من طريق أبي هريرة بلفظ (بضع وستون أو بضع وسبعون) والبخاري بلفظ (بضع وستون).

أولا ورود الحديث برتبة الأعلى والأدنى: وذكر الشعب دليل على أن الإيمان ليس شيئا واحدا إنما هو شعب، وخصال، ودرجات متفاوتة فاضلة، ومتفاضلة، وهذا يدل على أن الإيمان يتبعض ويتجزأ.

الإيمان: مراد الشيخ الإيمان بالمعنى العام الذي يشمل الإسلام وزيادة.

بضع: البضع بكسر الباء اسم من أسماء العدد (من ٣ إلى ٩).

شعبة: هي الجزء أو القطعة من الشيء، أو بعض الشيء.

أعلاها لا إله الا الله: أعلى وأفضل هذه الشعب الإيمانية كلمة: لا إله الا الله.

وادناها اماطة الاذى عن الطريق: تنحية كل ما يؤذي الناس من طريقهم حسيا أو معنويا.

الحياء شعبة من الايمان: الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل لمنع المرء من فعل ما يشين المروءة والأدب.

مثل الحديث: الإيمان بالشجرة ذات الفروع والاغصان والشعب فيها الأعلى، والأدنى وما بين ذلك.

قول (لا اله الا الله): قول باللسان ولا شك أنه تابع لقول القلب وهو الاعتقاد بالجنان

- (واماطة الاذى عن الطريق): هو عمل الجوارح يدخل في مسمى الإيمان.
- (والحياء): هذا عمل القلب وهو أيضا يدخل في مسمى الإيمان.

إذن الإيمان الشرعي يشتمل على أربعة أمور:

1. قول بالقلب: وهو اعتقاده وإقراره.
2. قول باللسان: وهو النطق به والإقرار.
3. عمل القلب: وهو ما قام من عبودية فيه مثل:(الخشية والخوف والتوكل، ونحوها)
4. عمل الجوارح: ما كان من (صلاة وصيام وحج، وجهاد، ونحوها)

وقد يضعف الإيمان وينقص حتى يصل إلى درجة العدم.

وقد خالف أهل السنة والجماعة طوائف كثيرة في مسألة تعريف الإيمان:

- **الجهمية**: يقولون الإيمان هو المعرفة بالله ﷻ والكفر هو الجهل بالله ﷻ.
- **المعتزلة والخوارج**: وافقوا أهل السنة في التعريف، وخالفوهم في الحقيقة، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الاسلام بالكلية وكفروه.
- **الأشاعرة**: جمهورهم يقولون الايمان هو تصديق بالقلب فقط. وإن لم ينطق باللسان، وهو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.
- **الكرامية**: الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بقلبه.
- **المرجئة الفقهاء**: يقولون الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط والعمل ليس من مسماه.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شاشي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

جدول موضح للفروق بينهم:

تعريفهم للإيمان	معرفة	قول	عمل	اعتقاد	يزيد	وينقص
أهل السنة والجماعة						
الجهمية						
المعتزلة	وافقوهم في التعريف، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الكلية وكفروه					
والخوارج	وافقوهم في التعريف، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الكلية وكفروه					
الأشاعرة						
الكرامية						
مرجئة الفقهاء						

يجب على المسلم أن يعتقد المعتقد الصحيح المأثور عن السلف والثابت بالدليل الصحيح ولا يلتفت إلى آراء الرجال وأهواء المبتدعة وانحراف الضالين المضلين، كما قيل:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ❁❁❁ فقول رسول الله أولى وأشرح

ولا تك من قوم تلهو بدينهم ❁❁❁ فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ❁❁❁ فأنت على خير تبيت وتصبح [1]

[1] المنظومة الحائية لابن أبي داوود السجستاني (316هـ)

قال المصنف (رحمه الله): وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ ﷻ: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: 177]. ودليل القدر: قَوْلُهُ ﷻ: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49].

- الركن: وهو الجزء المهم والأساس في البناء ويحمل غيره ويقوم عليه.
- والمعنى أي أصول الإيمان ستة؛ الإيمان بها على وجه الإجمال فرض عين والإيمان بها على وجه التفصيل فرض كفاية لكن من علم شيئا من ذلك التفصيل وجب عليه الإيمان به

- (ان تؤمن بالله): أي أن تؤمن بربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته إيمانا جازما مبنيا على علم ويقين.
- (وملائكته): جمع مَلَكٍ وهو المُرسَلُ وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة ثم قلبت همزة وصل وخففت وقدمت اللام فقيل ملأك ثم خففت إلى ملك لكثرة الاستعمال وهم خلق من خلق الله خلقهم من نور وهم من عالم الغيب مرسلون رسالة خاصة على وجه التعظيم، موكلون بما وكلهم الله به من أعمال مختلفة، خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره في ملكه، عددهم لا يعلمه إلا الله؛ يجب الإيمان بهم على الإجمال، ويجب الإيمان على التفصيل بما ذكر لنا في الكتاب والسنة، ونؤمن بأوصافهم وأسمائهم وأعدادهم وما بُيّن من أعمالهم ووظائفهم. قال ﷻ ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ البقرة ١٧٧
- (وكتبه): أي الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من الله على بعض رسله وكذا الصحف[1]

[1] سؤل الشيخ بن باز رحمه الله تعالى: المعروف أن الكتب السماوية المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن. فماذا عن صحف إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم الآيتان رقم 18 و19 من سورة الأعلى؟ أرجو إعطائي نبذة وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة.
فأجاب: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ [النحل: 43 - 44] والزبر هي الكتب. وقال سبحانه في سورة الحديد: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ الآية [الحديد: 25] ونص سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة: سبح اسم ربك الأعلى، وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ.
وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. والله ولي التوفيق

وفيها الهدى والحق والخير والأمر والنهي وما يصلح العباد وتستقيم به أحوالهم ونؤمن أن القرآن قد نسخ جميع هذه الكتب السابقة، وأنه حجة الله الباقية على الناس الى يوم القيامة، مع الإشارة إلى أن أكثرها قد بُدل وحُرف من قبل أهل الكتاب بسبب أهوائهم ورغباتهم قال الله ﷻ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء ٤٦، كذلك لا يجوز العمل بأي حكم من أحكامها إلا ما صح منها وأقره القرآن.

- (ورسله): جمع رسول أي مبعوث.
  - وشرعا: هو من بعثه الله إلى قوم غير مؤمنين وأوحيَ إليه بما لم يكن في شريعة من قبله. وأما النبي فهو من أوحي الله إليه أن يدعو إلى شريعة من كان قبله دون أن ينزل عليه كتابًا.
  - والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان بالرسل هو:
  - الاعتقاد الجازم أن الله أرسل إلى خلقه ورسلا منهم ليأمروهم بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به.
  - وأن هؤلاء الرسل موحى إليهم من الله وأنهم صادقون مصدقون فيما أخبروا به عن الله
  - وأن أولهم نوح عليه السلام
  - وأن خاتمهم محمد (ﷺ).
  - وأن عددهم لا يعلمه إلا الله. منهم من أعلمنا الله بأسمائهم في كتبه وبقيتهم أخفى الله عنا أسمائهم لحكمة هو يعلمها سبحانه.

وتعالى قال الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور ١٩

و قال الله ﷻ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء ١٦٤

- ونؤمن بما سمى الله لنا في القرآن (خمسة وعشرون):فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تعالى أَسْمَاءَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ فِي قَوْلِهِ ﷻ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وَالسَّبْعَةُ البَاقُونَ هُمْ:

19. سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

20. سَيِّدُنَا إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

21. سَيِّدُنَا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

22. سَيِّدُنَا صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

23. سَيِّدُنَا شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

24. سَيِّدُنَا ذُو الكِفْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

25. وَخَاتَمُهُمْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ نُظِمَتْ أَسْمَاؤُهُمْ بِقَوْلِ القَائِلِ:

حَتْمٌ عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ مَعْرِفَةٌ *** لِأَنْبِيَاءٍ عَلَى التَّفْضِيلِ قَدْ عُلِمُوا

فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ *** مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُو

إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا *** ذُو الْكِفْلِ آدَمَ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

- (واليوم الاخر): يوم القيامة وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده. والقدر الواجب المجزئ أن يؤمن العبد بأن الله جعل يوما يحاسب فيه الخلائق كلهم بعد أن يعيدهم ويبعثهم من قبورهم، ويشمل ثلاثة أمور هي:

1. الإيمان بالبعث.
2. الإيمان بالحساب والجزاء.
3. الإيمان بالجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب.

ثم بعد ذلك يتبع الإيمان التفصيلي بكل ما علم به بدليله.

- (والقدر خيره وشره): القدر يطلق ويراد به التقدير السابق لما في علم الله اي تقدير الله للأشياء وفق ما سبق به علمه واقتضته حكمة ويطلق ويراد به القضاء وهو المقدور الذي قضاه الله وقدره على النحو الذي علمه وهو مراد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في كلامه.

والمطلوب أن نؤمن بالقدر خيره وشره أي بالمقدور خيره وشره، أما القدر الذي هو تقدير الله كله خير. وقد يكون بالنسبة إلى العبد فيه شيء من الشر، وأما الله ففعله كله خير، ولا ينسب الشر إليه إلا من جهة الخلق والحكمة؛ ومراتب الإيمان بالقدر أربع هي:

1. الإيمان بالعلم ومضمونه أن الله بكل شيء عليم.
2. الإيمان بالكتابة، وأن مقادير الأشياء كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ
3. الإيمان بعموم المشيئة، ما من شيء في السماوات والأرض الا كائن بإرادة الله ومشيئته
4. الإيمان بعموم الخلق، ما من شيء في السماوات ولا في الأرض الا والله خالقه ومدبره ومالكه فما ثم الا خالق ومخلوق وكل ما سوى الله مخلوق

وقد نظمها أحدهم: " علم كتابة مولانا مشيئته *** وخلقه وهو إيجاد وتكوين"

وأختلف أهل العلم في الفرق بين القضاء والقدر على ثلاثة أقوال وهي:

أن القضاء والقدر مترادفان، سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب " القضاء والقدر، هو شيء واحد، الشيء الذي قضاه الله سابقاً، وقدره سابقاً، يقال لهذا القضاء، ويقال له القدر"[1]

وذهب بعضهم إلى أن القضاء سابق على القدر.

فالقضاء هو ما علمه الله وحكم به في الأزل، والقدر هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " قال العلماء: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله " انتهى.

وقال في موضع آخر (149/11): "القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل" انتهى.

والقول الثالث: هو أنهما إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"القدر في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]، وقال تعالى: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ

[1] بحثت عن القائل ونسبته اليه لتمام الفائدة ولتحصيل البركة.

الْقَادِرُونَ) [المرسلات: 23]. – وأما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم.

ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا. فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما معنى. فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه. وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا.

قال الشيخ رحمه الله: الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل: 128].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء: 217 ـ 220].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) [يونس: 61].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ.

قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا،

فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

❁ **الاحسان:** ضده الإساءة، من أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا أي جاء بفعل حسن.

❁ قال الله ﷻ : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة ١١٢.

❁ وقد يكون الاحسان في القول أيضا قال الله ﷻ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ البقرة ٨٣.

❁ وقال الله ﷻ : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الإسراء ٥٣.

❁ **والاحسان نوعان:**

- **احسان العبد في عبادته لربه** ﷻ: وذلك من خلال اتيانها على الصفة المطلوبة المرضية على أكمل الوجوه وأحسنها، خالية من النقص والخلل وهذا النوع هو قصد المصنف رحمه الله في كلامه عند شرحه للمرتبة الثالثة وللإحسان.
- **احسان العبد الى الخلق على مختلف درجاتهم ومقاماتهم قربا وبعدا منه**: وتحقيق ذلك بذل المعروف والخير والنفع الى كل من له صلة اجتماعية به، قربت أو بعدت وفيها يتفاوت مقدار الاحسان لهؤلاء، المحسن إليهم بحسب أهمية منزلتهم ومكانتهم لدى المحسن وفق قاعدة **الاقرب فالأقرب والأهم فالمهم**، فيكون في طليعة هؤلاء الوالدان الكريمان. ثم من بعدهم من يليهم. قال ربي ﷻ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء ٢٣، ولذلك يعظم حق المحسن إليه بسبب موقعه وحقه ونفعه. وذلك بحسب ايمان المحسن وإخلاصه. والسبب الداعي الى هذا الاحسان.

فقول المصنف رحمه الله: الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). الظاهر أن الشيخ رحمه الله جعل الاحسان ركنا واحدا كما رآه. وقد عدّ كثير من أهل العلم ركن الاحسان على مقامين متمايزين متكاملين سمو المقام الأول: **مقام المشاهدة** وسمو الثاني: **مقام المراقبة**.

- **مقام المشاهدة**: وهو المعنى المتضمن في قول المصنف رحمه الله في تعريف الاحسان :**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ** ويبدو أنه مقتبس من حديث رسول الله ﷺ المشهور. بحديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الاحسان. فأجاب رسول الله ﷺ ﴿أن تعبد الله كأنك تراه﴾.
- **وتحقيق هذا المقام**: يحصل عند
  - ممارسة العبد لعبادة ربه ﷻ.
  - وإتقان طاعته.
  - وذلك على مقتضى مشاهدة العبد لربه ﷻ بقلبه.
  - من خلال قوة ايمانه، ونفاذ بصيرته واستشعار قربه.
  - فيصير الغيب عنده كالعيان، فيجتهد في اخلاص عبادته للديان. يرجو منه العفو والغفران ويأمن منه النجاة من النيران والدخول الى الجنان بصحبة أهل الايمان.
- **والمشاهدة المقصودة هنا في كلامنا**: هي مشاهدة الصفات الإلهية، وما تضمنته من معان وآثار. لا مشاهدة الذات كما يزعم أهل الزيغ والانحراف والضلالة، من أصحاب الفرق والطوائف التي ضلت طريق السلف الصالح في فهم هذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد الحق كالصوفية والطرقية والخرافية ونحوهم.
- فان العبد كلما عظم علمه وكمل يقينه **بشهود آثار صفات الله ﷻ المثلى. ومعاني اسمائه الحسنى:**
  - زاد استشعاره بمراقبة ربه ﷻ له والنظر أحواله كلها باطنها وظاهرها.
  - ويسمع أقواله كلها سرها وعلانيتها وما خفي منها.
  - وبذلك يزداد العبد همة ونشاطا في احسان عبادته لربه ﷻ أينما حل وأينما ارتحل، وعلى أي حال كان.
- ويتفاوت أصحاب هذا المقام بتفاوت:
  - درجات إحسانهم.
  - وإتقانهم لعبادة ربهم من جهة كمال الايمان، وقوته.
  - ونفوذ البصيرة.
  - وتمام اليقين في الإحسان.

- فقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه الامام النسائي رحمه الله في الكبرى ﴿كتاب الرقائق﴾ كما في ﴿التحفة﴾ برقم (481/5)، وأخرجه أيضا أبو نعيم رحمه الله في ﴿الحلية﴾ برقم (115/6).وإسناده صحيح. قال ابن عمر رضي الله عنهما. أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي. فقال: اعْبُدِ اللهَ كأنَّكَ تَراه، وكُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَريبٌ، أو عابِرُ سَبيلٍ.

- وخرج الطبراني في حديث أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله ﷺ. حدثني بحديث واجعله موجزا فقال ﷺ: صَلِّ صلاةَ مودِّعٍ كأنَّك تراهُ فإن كنتَ لا تراهُ فإنَّهُ يراكَ اخرجه الطبراني في الاوسط كما في المجمع برقم (229/10).

وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما. لا من حديث أنس رضي الله عنه كما قال الهيثمي رحمه الله وغيره. وقال الهيثمي رحمه الله وفيه من لم اعرفهم.

- فمقام المشاهدة: يعد لب الاحسان وجوهره وهو أعلى المقامات وأسمى الدرجات في ركن الاحسان لا يناله إلا:
  - من أخلص كُلَّه لله طاعةً واستجابةً واستسلامًا على مستوى مخبره ومظهره وقاله وحاله
  - وجعل همه الله جل جلاله ومنتهى أمله رضاه سبحانه وتعالى
  - راجيًا صفحه وعفوه
  - طامعا في رحمته ومغفرته
  - آملا في دخول جنته والتمتع بنعمها الخالد المقيم.
  - وذلك هو دأب الكُمّلِ من عباده الخُلَّص من خلقه وهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ثم من يلوهم من أهل الجد والمقاربة والتسديد ومحاولة بلوغ كمال الأمر وتمامه.

- قال ربي جل جلاله: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ٤٢ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾ الصافات ٣٨-٤٧

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

❁ مقام المراقبة وهو دون المقام الاول في الرتبة بالنسبة لركن الاحسان، وهو المعنى المشار اليه في كلام المصنف رحمه الله. فإن لم تكن تراه فإنه يراك. والمعلوم أن هذا هو الشق الثاني من إجابته ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام أخبرني عن الاحسان؟

❁ ومقصود هذا المقام يُفهم من خلال مدلول معنى المراقبة الذي أشار إليه أهل العلم أثناء شُرحاتهم لحديث جبريل عليه السلام.

❁ ومعناه أن العبد إن لم يتمكن من تواجده في مقام المشاهدة فيعبد الله ﷻ كأنه يراه فيخافه ويخشاه ويراقبه في عبادته، ابتداءً وانتهاءً إن لم يستطع أن يرتقي إلى هذه الدرجة العلية، فلا أقل من أن يكون في المقام الذي هو دون الاول وهو مقام المراقبة.

❁ أن يستحضر مراقبة الله له وهو يتلبس بطاعته ويتعبد له بشتى أنواع العبادة، ويعلم يقينا أن الله تعالى الذي مكنه من عبادته هو مطلع عليه عالم بسريرته وعلانيته، يسمع أقواله ويعلم أفعاله، بل ويعلم وساوس نفسه وخطرات قلبه وما دون ذلك سواء كان خاليا او مع الناس.

❁ قال ربي ﷻ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ غافر ١٩.

❁ وقال ربي ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ آل عمران ٥.

❁ وقال ربي ﷻ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ طه ٧.

❁ وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: **من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص**[1].

❁ ويرى بعضهم أهل العلم أن الاحسان هو نهاية الاخلاص في عبادة الله ﷻ المتمثل في الانقياد بالطاعة على أكمل وجوهها وأتم صورها.

❁ ويعد الاحسان أعلى مراتب الدين وأعمُّها من جهة نفسها. وأخصها من جهة أصحابها. كما علمنا أن الإيمان أعمّ من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه.

[1] ذكره ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم ص 169

- ومن ثمة فإنه يقال كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا محسنا، وكلما ذكر الاحسان وأطلق دخل فيه معنى الايمان والإسلام، وليتضح الأمر أكثر فإن بعض أهل العلم يعبرون عن هذه المراتب الثلاث في الدين الاسلام في الدين الاسلام والايمان والاحسان بالدوائر، المحيط بعضها ببعض والمتباينة ضيقا واتساعا وكل دائرة تحمي أصحابها.
  - فأوسع هذه الدوائر دائرة الاسلام وأهلها كُثُرٌ، وهي بوابة الدين ومدخل الإسلام.
  - وتليها دائرة الايمان في السعة وأهلها أقل.
  - وتليها دائرة الاحسان وهي أضيق الدوائر وأهلها أقل القليل.
  - وقد ينتقل المرء في هذه الدوائر صعودا ونزولا بحسب قوة إسلامه وقوة إيمانه وكمال طاعته واحسانه.
  - فاذا خرج العبد من هذه الدوائر كلها فإنه ينتقل من الاسلام الى غير ملة الاسلام عياذًا بالله تعالى وليس بعد الكفر ذنب.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن أهل الاحسان يجزون بسبب احسانهم جزاء موفورا. ويمنحون أجرا كبيرا وثوابا جزيلًا ويجنون ثمرات احسانهم في الدنيا وفي الاخرة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة. وانا اذكر لك بعضها تحفيزا لك وشحذا لهمتك وترغيبا لك.

الموقع الرسمي للشيخ
أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

- **أولا:** أهل الاحسان ينالون محبة الله ﷻ أصالة ومحبة رسول الله ﷺ تبعا قال الله ﷻ:﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ١٩٥
- **ثانيا:** أهل الاحسان يزيدهم الله من فضله وإنعامه. قال ربي ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ٥٨
- **ثالثا:** أهل الاحسان يكونون في معية ربهم بالنصر والتأييد والتسديد. قال ربي ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨.
- **رابعا:** أهل الاحسان تنالهم رحمة الله الواسعة. وتقرب منه. قال ربي ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف ٥٦.
- **خامسا:** أهل الاحسان ينالون عفو الله عنهم ومغفرته لهم. قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة ٩١.

سادسا: أهل الاحسان أجرهم عند ربهم مضمون محفوظ لا يضيع منه شيء. قال الله ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ هود ١١٥.

سابعا: أهل الاحسان يحصلون على ما يشاءون من خيرات ونعم عند ربهم. قال الله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الزمر ٣٤

ثامنا: أهل الاحسان تكفر عنهم سيئاتهم وتبدل حسنات. قال الله ﷻ: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الزمر ٣٥.

ثم ساق المصنف رحمه الله الادلة والشواهد: لبيان تحقيق هذا الركن المهم من الدين والمنزلة العالية بدرجتيها المتفاوتتين ومقاميها المتميزين.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد الطاهر شادي

فقال رحمه الله والدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل: 128].

ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى ذكرها هنا معينة لعباده الذين هم محسنون في اعتقادهم وقولهم وعملهم مسارعين الى طاعة ربهم ومتابعة نبيهم ﷺ. فاخلصوا بذلك عبادة ربهم وجاءوا بها على الوجه الاكمل الاتم. وهذه المعية المذكورة في الآية الكريمة في هذا الموطن تقتضي أمرين متلازمين متكاملين:

أحدهما: أن الله تعالى مطلع على عباده المحسنين عالم به محيط بأحوالهم الباطنة والظاهرة لا يفوته تعالى شيء منها لا مثقال الذر أو أقل من ذلك سواء ما يجري على ألسنتهم أو يجول في خواطرهم أو توسوس به أنفسهم كل ذلك تحت سمعه وبصره وعلمه سبحانه وتعالى أليس هو القائل سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ ق ١٦. وقال سبحانه وتعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ المجادلة ٧.

والثاني: انه سبحانه وتعالى مع المحسنين ينصرهم ويؤيدهم ويؤازرهم ويسدد خطاهم ويحفظهم ويرعاهم. ويظهرهم على عدوهم وهذه المعية معية خاصة بأهل الايمان والاحسان والتقوى.

وها هنا نكتة في لفظة **محسنون**. الواردة في الآية جاءت على صيغة اسم الفاعل وهو يعمل عمل فعله يدل على الحدث والاستمرار والمحسن من أحسن وداوم على احسانه قالا وحالا.

ذكر المصنف رحمه الله الدليل الثاني فقال وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء: 217 ـ 220].

ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى ذكر رؤيته لنبيه صلى الله عليه وسلم حال كونه متلبساً بعبادته في صلاته أثناء ركوعه وسجوده، منفردا أو مؤتما به أصحابه أو خارج صلاته، حيث يكون في تلاوة كلام ربه جل وعلا أو في أي عمل من أعماله صلى الله عليه وسلم فهو تبارك وتعالى يرى نبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه في تقلبهم وفي عباداتهم، وفي صحيح أحوالهم ويوافيهم ويحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم، وكل ما يأتون أو يظهرون من أعمالهم. وهذا فيه اشارة إلى المعنى المتضمن الشق الثاني في تعريف الشيخ رحمه الله للإحسان وهو قوله: فان لم تكن تراه فانه يراك وهو ذاته المأخوذ من حديث جبريل عليه السلام في اجابته صلى الله عليه وسلم على معنى الاحسان.

الموقع الرسمي للشيخ

ثم ساق رحمه الله تعالى الدليل الثالث فقال: وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) [يونس: 61].

ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة المتضمن في قوله جل وعلا إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وشهود الله جل وعلا لما يعلمه العباد من مفردات معانيه رؤيته سبحانه وتعالى لهم ولأعمالهم. وعلمه بأحوالهم كلها بواطنها وظواهرها خفيها وجليها كثيرها وقليلها قريبها وبعيدها لا يغيب عنه شيء منها ولا يعزب عنه مثقال ذرة منها فهو محيط علما وسمعا وبصرا بجميع شؤون حياتهم وعباداتهم من تلاوة للقرآن العظيم وصلاة وذكر وغيرها من الطاعات والقربات وغيرها من الأعمال المتصلة بحياتهم فإنه لا يحدث حادث ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن ولا يظهر خفي ولا يخفى ظاهر الا وهو يُبصره ويسمعه ويعلمه. قال الله جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤﴾ الأنعام ٣-٤

واعلم رحمني الله وإياك أن مرتبة الاحسان تعظم بقدر عظم مراقبة العبد لربه جل وعلا. في عبادته إياه، فتشمل جميع أحواله وكذلك تضعف بضعف مراقبته لربه جل وعلا.

بسبب الصوارف والمعيقات والمُشغلات التي تكون بين العبد وبين احسانه في عبادته لربه تعالى. ومن وهنا يكون حظ العبد في تحقيق ركن الاحسان بحسب قوة رقابته ومراقبته لله ﷻ وضعفها. ولذلك يقرر أهل العلم أن من اسباب ارتقاء هذه المرتبة السنية العالية وهي الاحسان أن يُقبل العبد على تعلم العلم النافع المفضي الى العمل الصالح.

ويشترط في هذا العلم أن يكون مستمدا من:

- نصوص الكتاب
- والسنة الصحيحة
- آثار السلف الصالح.
- وكذلك باستصحاب النية الصادقة الخالية من شوائب الرياء والسمعة، والشهرة، وحب الظهور والمدح.
- ثم حسن العمل القائم على الإخلاص والاتباع.
- والتبرؤ من الشرك والابتداع
- وان يبتغي بذلك وجه الله ﷻ.
- ومع ذلك كله فإنه أحرى بالعبد أن يقر بتقصيره في حق ربه ﷻ.
- وكذا ضعفه أثناء القيام بعبادته ﷻ.
- وما تقصيره أيضا في آداء حقوق الخلق.
- ثم ينبغي للعبد الراغب في احسان عبادة ربه الا يألو جهدا في التوبة الى الله ﷻ والانابة إليه
- وملازمة احسان القول والعمل ما وجد الى ذلك سبيلا.
- وشأن المؤمن الموحد السائر على درب سلفه الصالحين أن ينظر الى ما هو أصلح وانفع له في دنياه وفي أُخراه. فإن كل ما كان أصلح وأنفع في عبادته كان أفضل وأكمل.

وتتحقق ركن الاحسان في العبادة بأمرين.

إحداهما: الاتيان بالواجبات وتكميلها وتحسينها بجنسها من نوافل العبادات المستحبات. وذلك في باب الطاعة المختلفة.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبيدة مسعود بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

والثاني: اجتناب المنهيات على مختلف درجاتها كبائرها صغائرها، وتكميل ذلك بالبعد عن المكروهات، والمشتبهات في الامور غير البينة الواضحة.

ويجمع ذلك كله: موافقة الظاهر للباطل، فيحصل للعبد المطيع بذلك الجمع بين حسن السريرة وجمال السيرة.

وأما الإحسان الى الخلق فإنه يأتي أيضا على مرتبتين:

احداهما: كف الاذى عن الخلق بكل أنواعه ووسائله اختيارا لاضطرارا.

والثان: تحمل اذى المؤمنين منهم والصفح عنهم عند المقدرة والتجاوز عن اساءتهم ومقابلة ذلك كله بالإحسان إليهم ما أمكنه الأمر وتيسرت له الوسيلة تحقيقا للمصلحة والراجحة

ثم بعد ذلك أورد المصنف رحمه الله الشواهد القرآنية عزز ذلك بإيراد دليل آخر من السنة فقال وَالدّلِيلُ مِنَ السُنّة: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بن الْخَطّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النّبِيّ ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النّبِيّ ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ.

قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ).

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السّائِلِ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

ويبدو ان الشيخ رحمه الله في تجلية الحق وبيانه لم يكتف بسوق أدلة الكتاب بل قوى استدلاله على ذلك بذكره حديث جبريل عليه السلام. والذي تضمن تعريف ركن الاحسان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ردا على سؤال جبريل عليه السلام عن الاحسان؟

وهو دليل صحيح من السنة الثانية. فقد اخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مما تفرد به مسلم رحمه الله عن البخاري رحمه الله أما الرواية المتفق عليها فان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

لكن أكثر أهل العلم لا يذكرونها لأنها تخلو من ذكر ركن الايمان بالقدر في تعريف الايمان. وذلك عند الاستدلال بهذا الحديث.

- والشاهد الذي استدل به الشيخ رحمه الله على ركن الاحسان هو المذكور في اجابته صلى الله عليه وسلم عن سؤال جبريل عليه السلام فأخبرني عن الاحسان؟ قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

فجاء التفسير النبوي لمعنى الاحسان بعبارة واضحة جلية قد بينت الغرض وبلغت الغاية ودلت على المقصود ولعظم شأن هذا الحديث الشريف اعتبره كثير من أهل العلم انه أم السنة كما أن في القرآن الكريم أم القرآن وهي سورة الفاتحة.

- ويسمى هذا الحديث كذلك لأنه في الحقيقة عند النظر والتأمل نجد أن جميع أحاديث السنة ترجع في مضامينها ومعانيها الى هذا الحديث الجليل القدر العظيم الشأن.

وقد جاء هذا الحديث بأسلوب حواري بين معلم وطالب، بين سائل ومسؤول في مجلس طلب علم ومذاكرة، الغرض منه تعليم الحاضرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دينهم وذلك ما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث بقوله: قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

- والحديث تضمن أصول الدين ودرجاته وأهم مسائله المتعلقة بالاعتقادات الباطنة والاقوال والاعمال الظاهرة. وما يتصل بأمور الغيب وشرائط الساعة وغيرها.

- ومراد الشرخ رحمه الله بالاستدلال بهذا الحديث ما جاء في بيان معنى مرتبة الاحسان في قوله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). وقد مرّ قريبا شرح ذلك وتأكيدا لما مرّ من الكلام أن الاحسان المقصود هو ايقاع العبد عبادته لربه تبارك وتعالى على الوجه الاكمل المطلوب. من جهة اخلاصها لله تبارك وتعالى ومراعاة تكميلها وتحسينها وتنقيتها من كل شائبة وكدر.

- وقد جاء الاحسان في القرآن العظيم :

- مرة مقرونا بالتقوى فقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة ٩٣

۞ وتارة يأتي مقرونا بالإسلام فقال الله ﷻ: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ لقمان ٢٢

۞ ومرة آخرى مقرونا بالعمل الصالح كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف ٣٠

۞ وقوله ﷺ في بيان ركن الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه. اشتمل على شطرين

- الشطر الثاني منه قوله فان لم تكن تراه فانه يراك. جاء تعليلا للشطر الاول قوله ان تعبد الله كأنك تراه.

ويفهم من ذلك أن العبد أُمر بمراقبة ربه ﷻ أثناء عبادته له واستحضار قربه ﷻ منه.

۞ متى كان العبد يرى ربه بقلبه ويستشعر قربه منه، فإن كان هذا لا يتأتى له وقد يعسر عليه ويشق على نفسه أن يتمثله، فإنه يمكنه أن يستعين على ذلك بتحقيق المقام الثاني مقام المراقبة ويستحضر مراقبة الله ﷻ له والنظر اليه والعلم بجميع شؤونه وأحواله لا يغيب عنه منها شيء فيحمله ذلك على الاقبال على طاعة ربه ﷻ واحسان عبادته له في السر والعلن في الخلوة والجلوة فلا يلتفت الى غيره بقلبه وجوارحه ولا يستشعر غيره ﷻ وقد جاء في حديث الحارث الاشعري رضي الله عنه الذي رواه الامام الترمذي رحمه الله وصححه الشيخ الالباني رحمه الله في سنن الترمذي برقم (6863) وفيه : ﴿وإنَّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ﴾ [1] وجاء في بعض قول الحكماء قوله: ﴿من وجد الله فقد وجد كل شيء ومن فاته الله فاته كل شيء﴾

[1] الحديث بطوله : إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها ، وإنَّهُ كادَ أن يُبْطِئَ بِها فقال عيسى: إنَّ اللهَ أمَرَكَ بخَمسِ كلماتٍ؛ لِتعمَلَ بِها وتأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بِها، فإمَّا أن تأمُرَهم، وإمَّا أنْ آمُرَهم، فقال يحيى: أخشى إن سبَقتَني بِها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ، فجمَعَ النَّاسَ في بيتِ المقدِسِ، فامتَلأَ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرُفِ، فقال: "إنَّ اللَّهَ أمَرَني بخَمسِ كلماتٍ أن أعمَلَ بِهِنَّ، وآمرُكم أن تعمَلوا بِهِنَّ: أوَّلُهُنَّ أن تعبُدوا اللَّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، وإنَّ مَثلَ مَن أشرَكَ باللهِ كمثَلِ رجلٍ اشترى عبدًا مِن خالصِ مالِه بذهَبٍ أو ورِقٍ، فقال: هذه داري وهذا عمَلي، فاعمَلْ وأدِّ إليَّ، فكان يعمَلُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأيُّكم يَرضى أن يكونَ عبدُه كذلك؟! وإنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاةِ، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ، وآمرُكم بالصِّيامِ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ في عِصابةٍ معَه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلُّهم يَعجَبُ أو يُعجِبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المسكِ، وآمرُكم بالصَّدقةِ؛ فإنَّ مثَلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ أسَره العدوُّ، فأوثَقوا يدَه إلى عنُقِه، وقدَّموه لِيَضرِبوا عُنقَه، فقال: أنا أُفْديه منكم بالقليلِ والكثيرِ، ففدَى نفسَه منهم، وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَجَ العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَزَ نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكرِ اللهِ". قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: وأنا آمرُكم بخَمسٍ اللهُ أمرَني بِهِنَّ، السَّمعُ والطَّاعةُ والجِهادُ والهِجرةُ والجَماعةُ، فإنَّهُ مَن فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ فقد خلَعَ ربقةَ الإسلامِ من عُنقِهِ إلَّا أن يراجِعَ، ومن ادَّعى دَعوى الجاهليَّةِ فإنَّهُ من جُثى جَهنَّمَ، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ وإن صلَّى وصامَ؟ فقالَ: وإن صلَّى وصامَ، فادعوا بدَعوى اللهِ الَّذي سمَّاكمُ المسلِمينَ المؤمنينَ، عبادَ اللهِ

الأصل الثالث :

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)[المدثر: 1-7].

وَمَعْنَى: (قُمْ فَأَنذِرْ): يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) : أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ): أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ): الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وساءت مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)[النساء: 97-99]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)[العنكبوت: 56].

قَالَ الْبَغَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: (لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف: 158]. وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[المائدة: 3].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[الزمر: 30، 31].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[طه: 55]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾[نوح: 17، 18]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[النجم: 31].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن: 7].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: 165].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[النساء: 165].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: 36]. وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ).

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

- والمقصود بهذه المعرفة هنا هي تلك التي تقتضي العلم بالنبي ﷺ من حيث نسبه الشريف ولادته ونشأته واخلاقه قبل بعثته ونبوته ورسالته ودعوته وجهاده وهجرته وسياسته وتربيته لأصحابه ومعاملته للمخالفين له.
- وهذا العلم متعين مطلوب من كل مسلم، يريد تحقيق معنى شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ.
- هذا من جهة ومن جهة آخرى فإنه يكمل بهذا العلم المعنى المتضمن في كلمة الشهادتين، حيث لا يصح له إسلام الا بذلك، ثم يطالب بما يقتضيه مفهوم الشهادتين من صلاة وصيام وزكاة ونحوهما.
- ومعرفة النبي ﷺ أمر واجب حتم لأنه ﷺ يمثل الواسطة بين الله ﷻ وبين الخلق في تبليغ دينه ورسالاته. ثم ان المسلم لا يتمكن من عبادة الله ﷻ. ولا تطبيق شرعه ولا متابعة نبيه ﷺ الا بعد معرفته له حق المعرفة. وكذلك لا يتأتى لمسلم الجواب الصحيح عن السؤال الثالث من قبل الملكين الكريمين في قبره وهو من نبيك؟ الا بعد هذه المعرفة الصحيحة المتكاملة به ﷺ فكيف يتسنى له الاخبار عنه وهو لا يعرفه ولا يدري عنه شيئا. ذلك ضرب من العبث والمحال ومن ثمة تعد معرفة النبي ﷺ من أهم أركان الدين وأبرز أصوله وأقوى عمده التي يقوم عليها.
- بدأ المصنف رحمه الله بذكر نسبه الشريف ﷺ فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم القريش.
  - أما اسمه **محمد** ﷺ فقد قالت طائفة من أهل العلم بالأنساب والتواريخ والسير أن هذا الاسم لم يكن معروفا عند العرب ولم يسم به أحد قبله ﷺ. والذي كان يعرف عند العرب هو اسم: **أحمد وحَمْد**.

۞ وقال آخرون بل اسم **محمد** عندهم لكن لا يطلق الا على أفراد قليلين. اثنين او ثلاثة ولم يكن هذا الاسم مشهورا عندهم.

۞ كما انه ﷺ له اسماء أخرى مثل **أحمد والماحي والحاشر والعاقب** وغيرها كما ثبت ذلك في الخبر الصحيح عنه ﷺ فقد جاء في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ :أنا مُحَمَّدٌ، وأَحْمَدُ، وأنا الماحِي الذي يَمْحُو اللَّهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي، وأنا العاقِبُ.أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ. وقد فسر اسم العاقب في حديث صحيح معناه الذي لا نبي بعده.

۞ اما اسم **محمد وأحمد** فقد ذكر في القرآن العظيم:

۞ فقال الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح ٢٩.

۞ وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الصف ٦.

۞ اما اسم **محمد** في اللغة فمعناه صاحب الخصال الحميدة الكثيرة التي يستحق أن يحمد عليها من الناس وهذا الأمر واقع له ﷺ. فقد كثرت خلاله المحمودة وشمائله الطيبة منذ نشأته وحتى قبل بعثته. فحَمد قومه على ذلك حتى لقبوه **بالصادق الامين**. قال فيه شاعر الاسلام حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله ***فذو العرش محمود وهذا محمد

۞ وقيل إن الذي سماه بهذا الاسم أعني **محمداً** هو جده عبد المطلب عند ولادته، رجاء أن يحمد في أهل السماء والأرض، وتكثر محبة الناس له وكان الأثر كذلك.

۞ وكان من عادة العرب قديما أنهم يراعون المعاني المتضمنة في الاسماء وأثارها في حياة المسمى به فكانوا يختارون الاسماء العسرة الصعبة لأبنائهم، عدة لأعدائهم. وتمنعا عليهم مثل اسم **حرب وصخر وأسد**.... ونحو ذلك.

- بينما يختارون لغلمانهم وجواريهم أحسن الاسماء والينها وأسهلها رجاء المسارعة في تنفيذ اوامرهم وطاعتهم مثل **سهل ورباح ونجيح ومطيع** ونحوها.

- اقتصر المصنف رحمه الله على ذكر جدين اثنين في سياق نسبه الشريف. ﷺ وهما **عبد المطلب وهاشم**.

  - اما **عبد المطلب** فاسمه **شيبة الحمد** على الصحيح. وقيل سمي بذلك لخصلة بيضاء في رأسه. وكان أحد سادات قريش وزعمائها لحكمته ولرجاحة عقله وحسن تدبيره للأمور، وفصاحة لسانه واشتهر بقيامه على خدمة الحجيج أيام الموسم واطعام المساكين والفقراء، حتى كان يطعم الطير والوحوش في رؤوس الجبال. وكانت قريش تسميه **الفياض**، وهو يُمثل زعامة قومه، بنى هاشم مات كافرا على الصحيح بمكة بعد الفيل بثماني سنين ورسول الله ﷺ لم يبلغ من العمر ثماني سنوات على الأصح .

- اما **هاشم** فاسمه **عمرو** وقيل سمي بهذا الاسم لأنه كان يهشم الخبز ويعد الثريد للحجيج أيام الموسم ويطعمهم وهو أول من سنّ لقريش رحلتي الشتاء والصيف وكان يجود بما عنده من الطعام على أهل الحاجة والفاقة، أيام السنوات العجاف حتى قال فيهم شاعرهم:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وكانت له السقاية والرفادة على البيت الحرام مات بغزة اثناء احدى رحلات الصيف وهاشم من قريش.

- وقريش أشرف قبائل العرب نسبا وأنقاهم اصلا وفرعا وبطنا وفخذا. وأصل قريش من قبيلة كنانة مضرية عدنانية. ترجع الى ذرية اسماعيل بن ابراهيم. عليهما السلام.

- وكان النبي ﷺ يشيد بقريش، ويفتخر بنسبه إليها من حيث طهارة أصلها ونقاوة سلالتها وكان يدعو لها بما جاء في الحديث الذي اخرجه الترمذي وصححه الشيخ الالباني رحمه الله برقم (1178) عن يحيى بن سعيد عن أبيه قال رسول الله ﷺ مَن يُرِدْ هَوانَ قُرَيشٍ، أهانَهُ اللهُ.

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ اللَّهمَّ أذقتَ أوَّلَ قريشٍ نَكالًا فأذِق آخرَهم نوالًا [1] اخرجه أحمد رحمه الله والترمذي رحمه الله وقال حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الالباني رحمه الله.

۞ وأما عند النسابة من أهل التواريخ والسير فإن العرب قسمان: **عرب عاربة وعرب مستعربة.**

۞ **العرب العاربة:** هم القحطانيون، سكان أهل اليمن جنوب جزيرة العرب والعربية لغتهم الأصل. تكلموها منذ نشأتهم ولكن باد أكثرهم.

۞ **العرب المستعربة:** هم العدنانيون سكان أهل الحجاز وغيرهم من العرب وهم فرع عن العرب العاربة اي عن القحطانيين، أخذوا العربية عنهم ويرجع أصلهم الى ذرية اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام وسموا بالعرب المستعربة، لأنهم خالطوا القحطانيين وتفتقت ألسنتهم بالعربية بسبب ذلك. وأكثر قبائل العربية المعروفة منهم وهم منتشرون في ارض الحجاز وغيرها. وقد جاء عن ابن عباس [2] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

أَوَّلُ مَنْ فُتِقَ لِسَانُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُبِيَّنَةِ إِسماعيلُ ، وَ هُوَ ابنُ أربعَ عشرةَ سنةٍ [3]

۞ والمعلوم ان اسماعيل قد تركه أبوه ابراهيم عليه السلام رفقة **أمه هاجر** بواد غير ذي زرع بمكة وذلك بأمر الله تعالى وجاءت قبيلة **جرهم القحطانية اليمنية** ونزلت على **أم إسماعيل هاجر** وشاركوها ماء زمزم ونشأ اسماعيل بينهم وأخذ العربية وصار منهم.

۞ فهو ﷺ من العرب أصالة فهو عربي هاشمي قرشي أبوه عبد الله بن عبد المطلب ويمثل أباه الأدنى واسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أبوه، ويمثل أباه الأعلى وهما الذبيحان قد جاء في حديث ضعيف السند صحيح المعنى انه رُوى عنه ﷺ قوله: أنا ابن الذبيحين [4]

---

[1] قُريشٌ هي قَبيلةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكانتْ عَزيزةً مَنيعةً على الإسلامِ، حتَّى أجبَروا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومَن أسلَم معَه على الخروجِ مِن مكَّةَ، وظلَّت على تلك الجاهليَّةِ حتَّى فتحِ مكَّةَ، وفي هذا الحديثِ يَدْعو النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقُريشٍ، فيقولُ: "اللَّهمَّ أذَقْتَ أوَّلَ قُريشٍ نَكالًا"، أي: عُقوبةً، وقد فُسِّرَتْ تلك العقوبةُ بما كان مِن هَزائِمَ مِن غَزواتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عليها، وقيل: القَحْطُ والغَلاءُ، وذلك يومَ أنْ كانوا كُفَّارًا، "فأذِقْ آخِرَهم نَوالًا"، أي: إنعامًا وعطاءً، وذلك بعدَما أسلَمَت قريشٌ، قيل: وقد ظهَرَت بَرَكةُ دُعاءِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لهم؛ فقد أُوتوا مِن الخيرِ في النِّعَمِ والمُلكِ ما لم يَكُنْ لمن قبلَهم.

وفي الحديثِ: عَلَمٌ مِن أعلامِ نُبوَّتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

وفيه: فَضلٌ ومنقبةٌ لقُريشٍ.

[2] هو في صحيح الجامع برواية ابن عباس رضي الله عنه وأما رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهي عند الشيرازادي في كتاب الألقاب رواية عن ابنه الحسين نقل ذلك الامام السيوطي في المزهر..

[3] رواه الشيخ الالباني رحمه الله تعالى في صحيحه الجامع برقم (2581)

[4] الراوي | – : الحدث : الألباني | المصدر : السلسلة الضعيفة الصفحة أو الرقم | 331 : خلاصة حكم المحدث : لا أصل له بهذا اللفظ

- فنسبه ﷺ من أشرف أنساب العرب وأطهر اعراقها وانقى أحسابها، تقلب في أصلاب طاهرة ونُطف نقية كما أخبر هو ﷺ عن نفسه بذلك. فقال: خرجتُ من نكاحٍ ولم أخرجْ من سفاحٍ من لدن آدمَ إلى أن ولدَني أبي وأمي لم يصبْني من سفاحِ الجاهليةِ شيءٌ[1]
- وقد ثبت عنه ﷺ أنه ذكر اختيار الله تعالى واصطفاءه له فقد روى الصحابي الجليل واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ، واصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِمٍ[2].وجاء في رواية عن الحاكم في مستدركه: فأنا مزية بني هاشم من خيار الى خيار.
- وما دمنا بصدد الحديث عن نسبه الشريف ﷺ رغبة في إفادة طالب العلم يحسن بنا أن نسوق في هذا الموطن نسبه الشريف كاملا الى عدنان. حيث وقع اتفاق علماء الانساب والتواريخ والسير على هذا النسب الى عدنان ثم اختلفوا في نسبه بعد ذلك.
- فهو: محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدن بن عدنان الذي ينتهي نسبه الشريف الى النبي اسماعيل بن خليل الله ابراهيم عليهما السلام والصحيح أن جميع قبائل العرب في الحجاز تنتمي الى هذا النسب المذكور قريبا. ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى ٢٣ لم يكن بطن من بطون قريش الا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل إليهم[3].
- وروى الامام أحمد في مسنده بسند صحيح عن المطلب بن أبي وداعة رحمه الله قال جاءَ العبَّاسُ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فكأنَّهُ سمِعَ شيئًا فقامَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ على المنبرِ فقالَ: مَن أنا ؟ فقالوا: أنتَ رسولُ اللَّهِ علَيكَ السَّلامُ. قالَ: أنا مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَبدِ المطَّلبِ، إنَّ اللَّهَ خَلقَ الخلقَ فجعلَني في خيرِهم

[1] وروى هذا الحديث مرسل من طرق عديدة حسنه الشيخ الالباني في كتابه صحيح الجامع الصغير. برقم 3318-322.

[2] اخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم.

[3] رواه البخاري في التفسير

ثمَّ جَعلَهُم فِرقتينِ فجعلَني في خيرِهم فِرقةً، ثمَّ جعلَهُم قبائلَ فجَعلَني في خيرِهم قبيلةً، ثمَّ جَعلَهُم بُيوتًا فجعلَني في خيرِهم بيتًا وخيرِهم نَفسًا [1]

- ولد ﷺ بمكة عام الفيل وهو العام الذي قدم أبرهة الحبشي بجيشه العرمرم يتقدمهم فيله العظيم قاصدا هدم الكعبة المشرفة بأمر من ملك الحبشة انتقاما من العرب، ولما وصل أبرهة الحبشي وجيشه وفي مقدمته الفيل العظيم الى مكان يقال له **المغمس** على مقربة من مكة برك الفيل وحزن ونكص ولم يقدر على الحركة كلما وجهوه الى جهة الكعبة جمد وبرك فإن حولوه إلى جهة أخرى أسرع بالرجوع وحاولوا الدخول الى مكة لكن لم يفلحوا فأرسل عليهم الله تعالى طيرا أبابيل جاءت من جهة البحر، تحمل في مناقيرها وأرجلها حجارة محمية موسومة ،كلما رمت واحد من الجيش بها اردته قتيلا، وفي ذلك أنزل الله ﷻ قرآنا يتلى الى قيام الساعة في سورة سماها سورة الفيل قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾الفيل ١-٥ وحمى الله جل وعلا كعبته وبيته الحرام من كيد الكائدين واعتداء المعتدين وردهم خائبين خاسرين وجعلهم كعصف مأكول وهو التين الذي تأكله الدواب ثم تروثه
- وأما **أبوه عبد الله** فقد مات في احدى رحلاته الى الشام، وهو عائد في قافلة تجارية لقريش، مرض بالمدينة وبقي بها عند أخواله من بني النجار على أمل اللحوق بمكة بعد برئه من مرضه فوافته المنية بيثرب، ودفن بها في دار يقال لها: **دار النابغة** وترك زوجه **آمنة بنت وهب** حاملا برسول الله ﷺ.
- ونشأ رسول الله ﷺ يتيما وأسترضع **ببادية بني سعد** عند **حليمة السعدية** وقد وقعت له عندها حادثة شق الصدر التي اوردها أهل السير والتواريخ في سيرته العطرة ﷺ ولما بلغ ست سنتين ماتت أمه آمنة وهي عائدة في طريقها الى مكة حيث أخذته ﷺ في زيارة الى أخواله من **بني النجار** بالمدينة ودفنت في مكان يقال له: **الابواء** وحضنته **بركة الحبشية** التي ورثها عن أبيه بعد موته.
- وانتقلت كفالته ﷺ إلى جده **عبد المطلب**، وكان يحبه كثيرا، ولا يصبر على فراقه، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فلا يجلس عليه الا وهو وأبناؤه من حوله، فكان ﷺ يأتي وهو غلام جفر[2] حتى يجلس عليه فيأخذه

[1] رواه الشيخ الالباني في صحيح الجامع 1485

[2] أي صغير لين.

أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا إن له لشأنا ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيديه ويسرّه ما يراه ويصنع.

- ثم مات عبد المطلب فانتقلت كفالته ﷺ الى عمه أبي طالب بوصية من جده عبد المطلب فضمه أبو طالب الى ابنائه وكان يعاني من قلة ذات اليد، فقد ألقى الفقر بعباءته عليه، لكن الله ﷻ أدخل البركة في بيته بوجود النبي ﷺ فيه، وكان يحبه كثيرا ولا يكاد يفارقه، فلما شب رسول الله ﷺ رعى الغنم لقريش بقراريط وذلك دأب أكثر الأنبياء فإنهم رعوا الغنم، اعدادا لهم لرعاية الامم والشعوب وقيادتهم الى الخير.
- وخرج ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة تجارية لقريش، وذكر أهل السير ما حدث له مع الراهب بحيرى أثناء رحلته.

ثم اتجر ﷺ لخديجة ابن خويلد الاسدية القرشية احدى عفيفات نساء قريش فاربحها كثيرا وعرضت عليه أن يتزوجها وشاء الله ﷻ أن يتزوجها رسول الله ﷺ وعمره لم يتجاوز خمسا وعشرين سنة، ولها أربعون سنة فكانت له خير زوجة وواسته بمالها وبنفسها ووفرت له كل أسباب السعادة في بيته ورزق منها الولد وهي التي آزرته أيام دعوته ووقفت إلى جانبه تدفع عنه أذى قريش وعاشت معه خمسا وعشرين سنة كلها طمأنينة وسكينة وايمان وصدق وتضحية ثم ماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين.

- قال المصنف رحمه الله وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ. عاش ﷺ في الدنيا ثلاثا وستين سنة. وقد ثبت عنه أن أعمار أمته تكون ما بين الستين والسبعين. وقليل من يتجاوز ذلك. منها أربعون سنة عاشها بمكة موطنه الأصلي، وكان منذ نشأته بها يخالف قومه فيما كانوا عليه من عباد الاوثان والاصنام، وقد برأه الله ﷻ مما اتصف به قومه المشركون أهل الجاهلية من أوصاف قبيحة ذميمة كأكل الميتة وشرب الخمر ولعب القمار والزنا ونحوها، فكان رسول الله ﷺ يهجر قومه ويغادرهم إلى غار يدعى غار حراء في جبل يقال له جبل النور في الشمال الشرقي من مكة، يبعد عنها مسافة حوالي خمسة كيلو مترات، والذاهب الى مشاعر منى وعرفات يكون الغار عن يساره، فكان ﷺ يخلو فيه بعيدا عن قريش، متعبدا لله في الليالي ذوات العدد فإذا نفذ زاده عاد الى زوجته خديجة رضي الله عنها يتزود ثم يعود مرة اخرى إلى الغار وهكذا استمر ﷺ على هذا الحال بعده يعده ربه اعدادا خاصا يؤهله لتحمل اعباء ما سيلقى عليه من الوحي والتكليف، بتبليغ رسالة ربه ﷻ حتى جاءه

الملك جبريل عليه السلام في الغار: فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ :اقْرَأْ، قالَ :ما أنا بقارِئٍ، قالَ :فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ :اقْرَأْ، قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ :اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (2) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ} العلق: 1- 3

- وذلك أول ما أنزل عليه من الوحي وكان عمره يومئذ قد قارب الأربعين سنة. لذلك قال الشيخ رحمه الله نُبِّئَ بـ (اقْرَأْ)، أي صار نبيا يوحى إليه من الله عز وجل وكان ذلك علامة دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم. فنزل من غار حراء يرجف بها فؤاده وخشي على نفسه فلما أخبر خديجة رضي الله عنها بذلك قالت له في ثبات ويقين: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ

- ثم ذهبت به الى بن عمها ورقة ابن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتاب فلما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال له: هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ :نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ.

- وجاء في رواية ذكرها الامام الطبراني في تاريخه وكذا الامام البيهقي في دلائل النبوة: ان ورقة ابن نوفل لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة. فقال له يا ابن اخي أخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة بن نوفل: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الامة لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى عليه السلام ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخة[1] والناموس هو وسط الرأس ثم انحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله.

- فقال المصنف رحمه الله وأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ)، وبَلَدُهُ مَكَّةُ. أي ان النبي صلى الله عليه وسلم صار رسولا مكلفا بتبليغ ما أوحي اليه من ربه بقوله تعالى من أوائل سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ المدثر ١-٧. وقد تضمنت هذه الآيات

[1] أي وسط الرأس كما جاء في القاموس

الامر من الله لرسوله بالقيام بأداء ما وُكل إليه من بلاغ رسالة ربه ﷻ وهي رسالة الاسلام والدعوة الى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وذلك ما كلف به إخوانه المرسلون عليهم السلام من قبله بالدعوة اليه وبيانه للناس.

- وبلده مكة لأنه ﷺ ولد بها فهي مرتع صباه وموطن شبيبته ومأوى كهولته ودار دعوته الأولى وقد حفظه ربه جل وعلا منذ طفولته من ان يشارك قومه المشركين في شيء من أمور الجاهلية فكان متميزا عنهم في أخلاقه وسمته وأدبه وسيرته ﷺ يحب بلده مكة ويقول في حقها: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله لولا أني أخرجت منك ما خرجت)[1]

- وجاء في حديث أخرجه الترمذي وصححه الألباني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لمكة: (ما أطيبك من بلد وأحبك الي ولولا قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)[2] وكان صلى الله عليه وسلم يقول:(إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الان)[3].

- قال المصنف رحمه الله تعالى:(بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو الى التوحيد)، وهذه العبارة تتضمن خلاصة دعوة الرسل جميعا قبل النبي ﷺ وهو يقتفي آثارهم ويقتدي بهم يدعو إلى ما دعوا إليه فإن الله تعالى بعثه للقيام بأمرين هامين تدور دعوة الله تعالى عليهما وترجع اليهما.

- **الامر الاول**: النذارة عن الشرك أي إنذار الناس من الشرك بكل صوره ومظاهره والتحذير منه ببيان بطلانه وفساده وضلال أهله والتخويف من عاقبته وذلك بالخلود في عذاب النار إن ماتوا عليه.

- **الإنذار**: هو الإعلام المتضمن للتخويف والترهيب من شيء يمكن تداركه لكن وقت تداركه يطول بخلاف الاشعار. الذي يقصر وقت تدارك الأمر فيه، كما قال الشاعر:

أنذرت عمراو هو في مهلٍ***قبل الصباح فقد عصى عمرو.

- ويكون الإنذار عن الشرك من خلال سوْقِ الأدلة الصحيحة الصريحة المبينة لبطلان اعتقاد أهله وفساد معتقدهم في الآلهة الباطلة التي يعبدونها من دون الله وحجتهم التقرب إلى الله زلفى ويجعلونها وسائط بينهم وبين الله تعالى في قضاء حوائجهم بجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ

[1] اخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجة واحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عدي رضي الله عنه، قال ابن حجر في الفتح وهو حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن.

[2] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه

[3] أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة.

مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ الزمر ٣، فهذه الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله تعالى لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها شيئا فهي مخلوقة مسخرة .فمن عبدها فإنه قد عبدها بظلم وبباطل والإنذار عن الشرك أيضا تخويف من نار يوم القيامة ومن عذاب الله تعالى ومن سخطه على كل من أشرك به معه غيره في عبادته وإنزال أشد العقوبة به في الدنيا والاخرة.

۞ قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ٤٢ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ٤٣ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ القمر ٤١-٤٥

۞ **الأمر الثاني**: وهو ﷺ ينذر عن الشرك مبينا خطره وضرره فإنه في ذات الوقت يدعو إلى ضده وهو التوحيد الذي مضمونه الدعوة إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة في الأقوال والأفعال والأحوال. توحيد الله في ربوبيته ﷻ وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته ويكون ذلك ببيان فضله وجزائه ومآل أهله يوم القيامة وما ينالونه من ثواب وأجر ونعيم خالدين فيه أبد الآبدين.

۞ وذكر الشيخ هنا النذارة عن الشرك أولا ثم الدعوة إلى التوحيد ثانيا، هذا من باب التخلية قبل التحلية وذلك معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله نفي إثبات هدم وبناء وهو مناسب أيضا لما ورد في آية المدثر (قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ): أنذر عن الشرك وبين بطلانه وكبر الله ﷻ بالتوحيد في جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك.

۞ ثم قال ﷻ :(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ) أي: طهر أعمالك من الشرك بكل أنواعه قليله وكثيره. والعرب تكني عن الأعمال بالثياب وهو المذكور عن أكثر السلف كما نقله الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره.

۞ وقوله تعالى: (وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥) والمعنى: كما أشار إليه الشيخ قائلا الرجز الأصنام وهي تلك المعبودات من دون الله التي كانت منتشرة بأرض الجزيرة. لا سيما مكة وما حولها، فلا تكاد تخلو قبيلة من صنم لها تعبده مع الله ﷻ،بل عند التأمل تجد أن كل مشرك آنذاك له معبود خاص به يلجأ اليه ويدعوه ويتقرب إليه ويعبده من دون الله ﷻ.

۞ ثم قال الشيخ:(وهجرها تركها...) أي ترك عبادتها ومجانبتها والمباعدة عنها والكفر بها، والبراءة منها ومن أهلها الذين عبدوها من دون الله ﷻ، ظلما وعدوانا وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا كما يجب إظهار العداوة والبغضاء لها، ولأصحابها وعدم مخالطتهم ومقاربتهم والابتعاد عنهم. كما قال الله ﷻ على لسان خليله إبراهيم عليه

السلام: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ مريم ٤٨، وكذا أمر الله ورسوله محمدا ﷺ بهجران أهل الشرك، والصبر على أذاهم فقال ﷻ له: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ المزمل ١٠ .

- ثم قال المصنف رحمة الله عليه (أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين). أي: بقي ﷺ بمكة عشر سنين وهو يدعو أهلها إلى توحيد الله ﷻ وعدم الإشراك به وترك عبادة الأوثان، وكان ﷺ يتعرض لمشركي مكة ويعرض عليهم الإسلام ويطمع في اجابتهم لدعوته وما ترك وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ المتاحة له آنذاك إلا استعملها رجاء دخولهم في دين الله ﷻ وخلع عبادة الأصنام.
- وقد كانت دعوته ﷺ في ابتداء أمره سرا لمدة ثلاث سنين. كان يجتمع فيها بأتباعه من المؤمنين في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه يعلمهم الإسلام ولما تزايد عددهم أُمر بإظهار دعوته والإعلان بها بين قومه قريش فأنزل الله ﷻ عليه قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الحجر ٩٤، و أمره ربه عز وجل أن يبدأ بإنذار عشيرته وأهله وقومه فقال ﷻ : ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ الشعراء ٢١٤ فجمعهم رسول الله ﷺ على جبل الصفا وأنذرهم وحذرهم وبين لهم. ودعاهم الى توحيد الله ﷻ وترك عبادة الأصنام، ولكن قريش قابلت دعوته بالإنكار والإعراض والرفض. ونبزته بسيء الالقاب فقالوا ساحر وكذاب ومجنون وأفاك ونحو ذلك.
- وشرعت قريش في إيذاء أصحابه وأتباعه من المؤمنين المستضعفين وإذاقتهم ألوانا من النكال والعذاب وحاصرتهم وضيقت عليهم سُبل عيشهم، وحاولت كثيرا صدهم عن دينهم وإرجاعهم إلى دين الشرك والكفر ولكنها لم تفلح في ذلك إلا ما تمكنت منه من التجويع والتعذيب والحبس. ولم تقف قريش عند هذا الحد بل ذهبوا إلى قطع السبيل على كل من يريد أن يتعرف على هذا الدين الجديد أو يسمع من النبي ﷺ. كلاما عنه.
- فكانوا يأتون الناس في أيام موسم الحج والتجارة ويحذرونهم من النبي ﷺ ومن دعوته ويخوفونهم. لكنه ﷺ صبر على دعوته وواصل طريقه، يدعو إلى التوحيد ويعرض نفسه على قبائل العرب ويذهب إليهم في أماكن رحالهم ويعرض عليهم الإسلام ويقرأ عليهم كلام الله ﷻ.

- ولما زاد أذى قريش لأتباعه في مكة أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشة وقال لهم أن بها ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد. وكان هذا الملك هو النجاشي واسمه (**أصحمه**) على دين النصرانية. فخرج إليه المسلمون من مكة في هجرتين. وحاولت قريش قصارى جهدها إرجاعهم والانتقام منهم والتنكيل بهم. فأرسلت إلى النجاشي بهدايا وتحف مع رجلين من قومها وهما: عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد لكن النجاشي أحضرهم عنده وسمع منهم وناظرهم وعلم أنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق، فأمنهم وحماهم وآواهم ورد على قريش هداياها، ورفض إعادتهم، وقد ثبت أن النجاشي ملك الحبشة قد أسلم وحسن إسلامه وأخفى ذلك على قومه ولما مات أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ بذلك فصلى عليه صلاة الغائب، وترحم عليه ودعا له. رحمه الله ﷻ
- ولما أحس ﷺ بتشديد الخناق عليه بمكة من قبل المشركين وزادت جراءتهم عليه فأكثروا أذيته لا سيما بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يمنعه منهم، ويحول بين قريش وبين أذاه للنبي ﷺ. خرج إلى الطائف يلتمس النصرة لدعوته من ثقيف ولكنه خاب ظنه فيهم وقابلوه بأشد أنواع الأذى من شتم وسب وطرد. ومنعوا رجالهم ونساءهم وأولادهم من سماع كلامه ودعوته فرجع إلى مكة حزينا أسفا ولكنه لم ييأس من النصرة لدينه والاستجابة لدعوته وواصل طريقه يدعو إلى الله ﷻ ثابتا صابرا محتسبا وبعد ذلك منّ الله ﷻ عليه برحلة الإسراء والمعراج، وكان ذلك قبل الهجرة إلى المدينة بقليل وكانت هذه الحادثة تسلية لرسول الله ﷺ وتثبيتا له وتنفيسا عن كربته وإذهابا لغمه وهمه ودفعا لحزنه وأساه. وكانت هذه الرحلة الطيبة المباركة على مرحلتين:
  - **مرحلة أرضية**: وكانت من المسجد الحرام من رحاب الحجر إلى حيث المسجد الأقصى، ليلا على البراق بصحبة جبريل عليه السلام.
  - **ورحلة سماوية علوية**: من المسجد الأقصى بعد إمامته ﷺ لنفر من إخوانه الأنبياء إلى السماوات العلى حتى وصل به جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى، وهناك كلمه ربه ﷻ، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس وكانت في أول الأمر خمسين صلاة ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة وذلك بنصح كليم الله موسى عليه السلام للنبي ﷺ بأن يسأل ربه التخفيف وذلك عند مروره به في السماء السادسة فقال له ربه ﷻ :(امضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا)[1]

[1] أخرجه البخاري من مالك ابن صعصعة.

وصارت الصلاة خمسا في الأداء وخمسين في الأجر، والله يؤتي فضله من يشاء، وقد أسرى به ﷺ بروحه وجسده يقينا، خلافا لمن زعم غير ذلك لقد قال الله ﷻ في قرآنه المجيد: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ الإسراء ١

وكلمة (بِعَبۡدِهِۦ): تفيد أنه أسرى به بروحه وجسده لأنه لا يطلق على الإنسان عبدا إلا إذا كان روحا وجسدا. وقد أطلع الله تعالى نبيه ﷺ، في هذه الرحلة المباركة على آيات عظيمة كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ النجم ١٨. وأطلعه على الجنة وما فيها وعلى النار وما فيها. ورجع في ليلته ﷺ إلى بيته بمكة. ولما أصبح أخبر الناس بذلك، فأما أهل الإيمان واليقين، فصدقوا وازدادوا إيمانا وتسليما أما أهل الكفر والشرك فازدادوا عنادا وإعراضا ووصفوه بالجنون وكذبوه ورفضوا ذلك منه وقالوا هذه دعوى باطلة وأرادوا اختباره لبيان صدقه فطلبوا منه أن يصف لهم المسجد الأقصى، وهم يعرفونه لأنهم مروا به كثيرا في رحلتهم إلى الشام. في الصيف، فطفق ﷺ يصفهم لهم بابا بابا، ونافذة نافذة، وعمودا عمودا، وركنا ركنا، ولكنهم قالوا الوصف صحيح لكن الواصف كذاب.

وكانت حادثة الإسراء والمعراج إحدى معجزاته ﷺ ولكن المشركين أصروا على شركهم وكفرهم وعنادهم.

وصلى النبي ﷺ بمكة ثلاث سنين الصلوات الخمس يجمع أصحابه عليها وكان قبل ذلك يصلي صلاتين فقط في إقبال النهار والأخرى في إدباره وفي ذلك جاء قول قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ طه ١٣٠

وقال المصنف رحمه الله: (وبعدها امر بالهجرة الى المدينة والهجرة الانتقال من بلد الشرك الى بلد الاسلام..) وكان ﷺ قد لقي في أحد مواسم الحج نفرا من الأنصار فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وبايعوه وسميت تلك **ببيعة العقبة الأولى**. وفي العام القابل لقي نفرا من الأنصار فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبايعوه على النصرة وأن يحموه إذا هاجر إليهم وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأولادهم، سميت تلك **ببيعة العقبة الثانية**.

ولما ذاع الإسلام في المدينة وانتشر وكثر أنصاره أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة. كان صاحبه أبو بكر رضي الله عنه يستأذنه في الخروج إلى المدينة فكان ﷺ يقول له لا تعجل لعل الله ﷻ يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر رضي الله عنه ان يكونه. جاء في البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة من حديث عائشة رضي الله عنها الطويل

وفيه: (...وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ له رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ؛ فإنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»، قالَ أَبُو بَكْرٍ: هلْ تَرْجُو ذلكَ بأَبِي أَنْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِيَصْحَبَهُ...) فلما علمت قريش بخبر بيعة الحقبة الثانية ازداد خوفها أن يكون النبي ﷺ أنفق مع أهل يثرب الذين دخلوا في الإسلام أن يخرج إليهم فيكثر أنصاره وتقوى شوكته فأجمعوا على اغتياله وقتله، والتخلص منه، ومن دعوته مرة واحدة وحاصروا داره وأرادوا قتله، لكن الله حفظه بحفظه، ورد كيدهم في نحورهم، وأنجاه من شرهم.

- وخرج رسول الله ﷺ مهاجرا بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت رحلة شاقة طويلة متعبة وحمى الله ﷻ هذا الركب المبارك. وأمنه حتى وصل رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة فلقيه أصحابه وأنصاره وسروا بمقدمه.
- **والهجرة لغة**: ترك الشيء ومفارقته والتحول منه إلى غيره.
- **والهجرة اصطلاحا**: كما عرفها الشيخ هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والأصل فيها ترك كل ما يكره الله ويأباه والانتقال إلى ما يحبه ويرضاه.

- قال المصنف رحمه الله (والهجرة فريضة على هذه الامة من بلد الشرك الى بلد الاسلام وهي باقية الى ان تقوم الساعة) والمعنى: أن الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الاسلام فرض وواجب على هذه الأمة أمة الإجابة لمن كان قادرا على ذلك غير متمكن من إظهار دينه في بلد الشرك، أما من كان يقدر على إظهار دينه وشعائر الإسلام والدعوة إلى التوحيد فالهجرة في حقه مستحبة.

- وساق الشيخ رحمه الله الدليل الأول على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ٩٩﴾ النساء ٩٧-٩٩

والدليل الثاني قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ العنكبوت ٥٦.

- ثم ساق الشيخ رحمه الله كلام الإمام البغوي رحمه الله فقال قال الإمام البغوي سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الايمان. ومعنى الآيتين المتقدمتين: أن الذي يكون في بلد الكفر والشرك ويقدر على الهجرة منه إلى بلد الإسلام فإنه يجب عليه ذلك وإن لم يفعل يعاقبه الله تبارك وتعالى عقابا شديدا كما ذكر في الآية وهو الدخول النار والعذاب فيها ثم استثنى الله تبارك وتعالى من هؤلاء

من كان مستضعفا من الرجال والنساء والولدان الذين لا يقدرون على الهجرة ولا يجدون حيلة في ذلك. أو لهم علة تمنعهم من الهجرة فهؤلاء يعفو الله ﷻ عنهم وكان الله عفوا غفورا.

۞ وهذه الهجرة المذكورة باقية دائمة إلى قيام الساعة لا تتوقف ولا تنقطع ولا تُنسخ وكذلك ساق الشيخ رحمه الله دليله على ذلك من السنة فقال والدليل على الهجرة من السنة ﷺ:(لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ , ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِها)[1]. ومعنى الحديث أن الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الاسلام. ستبقى مستمرة كلما توفرت مقتضياتها وأسبابها ولا يمكن أن تنقطع بحال إلى أن تقوم الساعة وذلك بظهور أحد أشراطها وهو طلوع الشمس من مغربها.

۞ قال المصنف رحمه الله :(فلما استقر بالمدينة امر ببقية شرائع الاسلام مثل الزكاة والصوم والحج والاذان والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاخذ على هذا عشر سنين) اي: صارت دار إقامته ﷺ بالمدينة، وفيها تتابع نزول الوحي عليه وأمر ببقية شرائع الدين، مثل: الزكاة التي فرضت بمقدارها المحدد في السنة ثانية للهجرة. وكذا الصوم أعني صوم رمضان، فإنه كذلك فرض في السنة الثانية للهجرة، حيث وجد ﷺ اليهود بالمدينة يصومون يوم عاشوراء. فسألهم عنه فقالوا يوم نجّى الله فيه موسى عليه السلام من فرعون، فنحن نصومه تعظيما له. فقال ﷺ نحن أولى بموسى عليه السلام منكم، فصامه وصامه المسلمون. ولما فرض صيام شهر رمضان تركه وصار صيامه ندبا لا فرضا. وكذلك الحج قيل فرض في السنة السادسة للهجرة لما نزل قول الله ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ البقرة ١٩٦. ومن العلماء من يقول فرض في السنة التاسعة الهجرة فهذا هو الصحيح كما ذكر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتاويه (٣٢٨/٧٢)، وكذلك الآذان فرض في السنة الأولى للهجرة برؤيا منامية من الصحابي الجليل عبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله عنه علم فيها ألفاظ الآذان والإقامة وأقر ذلك رسول الله ﷺ.

[1] أخرجه أبو داوود والنسائي في الكبرى وأحمد في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

- وكذلك الجهاد في سبيل الله ﷻ فرض على المسلمين على مراحل متدرجة،
  - الإذن به في قول الله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج ٣٩ ثم قتال المسلمين من يقاتلهم من الكفار والمشركين
  - في قول الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة ١٩٠
  - وفي قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التوبة ٣٦
  - ثم قتال كل أهل الشرك والكفر حتى يكون الدين كله لله في قول الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال ٣٩
  - وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإحقاق الحق وإبطال الباطل وكف الأذى عن الناس والضرب على أيدي الفجار والفساق ومنعهم من إفساد المجتمع ونشر الشر والرذيلة ونحو ذلك.
- بقي النبي ﷺ على ذلك يدعو إلى توحيد الله ويجاهد لإعلاء كلمة الله، ويعلم ويربي الناس حتى توفاه ربه ﷻ فبلغ البلاغ المبين ﷺ ونصح للأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. نسأل الله ﷻ أن يجازيه عنا وعن الإسلام خير ما جاز به نبيا عن أمته.
- ودينه باقٍ أي: لم يذهب بذهاب من كان يدعو إليه لأنه دين الله ﷻ والله ﷻ حي لا يموت والنبي ﷺ قام بما أُمر به على أكمل وجه فأدى ووفّى وأحسن وانتقل إلى جوار ربه. وخلّف وراءه دعاة إلى هذا الدين هم أصحابه رضي الله عنهم وهم ماتوا وانتقلت مسؤولية الدعوة إلى هذا الدين أعني الإسلام إلى غيرهم من أتباعهم، وهكذا إلى قيام الساعة والإسلام هو كما جاء به رسول الله ﷺ وبينه ودعا إليه.
- قال المصنف رحمه الله تعالى (وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه). والمعنى: أنه ﷺ كان ناصحا لأمته أمينا على دينها، ما علم من خير، وصلاح، وفلاح إلا دل أمته عليه، ورغبها في فعله والمواظبة عليه ليتحقق لهم نفعه في الدنيا والآخرة، وما علم من شر وسوء إلا وحذر أمته منه، ومن ارتكابه والاقتراب منه ومنعا لوصول ضرره إليهم.

❁ **وأعظم الخير** الذي دل أمته عليه **هو التوحيد**، وإفراد الله بالعبادة، والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه، والوقوف عند حدود شرعه، وطاعته على كل حال.

❁ **وأكبر الشر** الذي حذر الأمة منه **هو الشرك بالله** في الأقوال والأعمال والنيات وعدم اتخاذ أندادا لله ﷻ ووسائط وشركاء تصرف إليهم العبادة التي هي حق الله ﷻ الخالص لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين، وكذلك حذرهم ﷺ من اِقتراف شيء مما يكرهه الله ﷻ ويبغضه من المعاصي، والآثام كبائرها وصغائرها حتى لا يحل بهم غضب من الله ﷻ . وسخطه كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ النساء ١٤ فقد أخرج مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حق عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم)

❁ قال المصنف رحمه الله :(بعثه الله الى الناس كافة وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والانس والدليل قوله تعالى: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)وهنا من خصائصه ﷺ التي من الله ﷻ بها عليه وفضله على إخوانه الأنبياء المرسلين الذين سبقوه حيث إن كل نبي أو رسول سبقه ﷺ كان يبعث إلى قومه خاصة أما هو ﷺ فإنه بعث إلى الناس كافة كما جاء في القرآن في الآية التي استشهد بها الشيخ في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف ١٥٨ وكلمة (ٱلنَّاسُ) الواردة في الآية الكريمة تشمل الجن والإنس أي الثقلين، فهو ﷺبعث إلى الثقلين، فكل مكلف من الإنس والجن مطالب بالإيمان به وإلا فإنه لا يصح منه دين ولا إسلام، وقد جاء في الحديث الصحيح عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأسياد قبلي)،وذكر منها :(وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة). فمن آمن بجميع الأنبياء والرسل ولم يؤمن بمحمد ﷺ فإن إيمانه باطل فاسد مردود ، وهو كافر لا يصح منه إسلام ولا إيمان.

قال المصنف رحمه الله: (وأكمل الله ﷻ به الدين والدليل قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقد نزلت هذه الآية الكريمة في حجة الوداع وفي عرفة وفي يوم الجمعة ذكر فيها الله ﷻ إكمال الدين فلا نقص فيه فمن اعتقد فيه نقصا فقد كذب بالقرآن وكفر بالله ﷻ وكذب الله ورسوله ﷺ ومن ابتدع شيئا يريد به إكمال الدين فقد افترى على الله ﷻ ورسوله ﷺ، والآية تضمنت ثلاثة أمور مؤكدة وهي:

- **الأمر الأول**: إكمال الدين في كل المناحي في الاعتقادات وفي الأعمال والمعاملات، وفي الآداب والسلوك
- **والأمر الثاني**: إتمام النعمة على هذه الأمة أمة الإجابة وذلك ببعثه النبي ﷺ وبيان الدين وبلاغ الإسلام عن طريقه.
- **والأمر الثالث**: الله ﷻ لا يرضى دينا إلا الإسلام رضيه لهذه الأمة تحيا عليه وتموت عليه وتبعث عليه يحاسبها ﷻ على أساسه، ولا يقبل الله ﷻ دينا غيره مهما كان ومن ايّ كان.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ آل عمران ١٩

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران ٨٥

ثم انتقل الشيخ رحمه الله إلى الحديث عن موته ﷺ وساق الدليل على ذلك فقال والدليل على موته ﷺ

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١ ۝٣٢﴾ الزمر ٣٠-٣٢

والمعنى: أن النبي ﷺ بشر يجري عليه ما يجري على البشر من أحوال المرض والجوع والحزن ونحو ذلك وليس فيه شيء من خصائص الربوبية بل هو عبد مربوب عابد لله ﷻ لا يستحق أن يعبد، وإنما هو نبي مصدق ورسول مكلف ببلاغ دين الله ﷻ ورسالة الإسلام إلى العالمين. فالنبي ﷺ يموت كما يموت الناس وكما مات إخوانه من الأنبياء والرسل من قبله. فقد كتب ذلك على كل حي ولا خلود لأحد سوى الله رب العالمين، قال الله ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ الأنبياء ٣٤.

وذلك خلافا لمن يزعم كذبا أن النبي ﷺ حي ويحضر مجالسهم ويكلمهم وهذا من أبطل الباطل فإنه ﷺ انتقل إلى عالم البرزخ لكن حياته فيه أكمل من حياة الشهداء عند ربهم.

قال المصنف رحمه الله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى) :مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)[طه: 55]. وقَوْلُهُ تَعَالَى) :وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا)[نوح: 17، 18]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى) :وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)[النجم: 31]

وخص الشيخ رحمه الله ذكر البعث هنا ومحله هنا في موطن ذكر الإيمان باليوم الآخر للرد على من زعم أن الموتى لا يبعثهم الله جل وعلا من قبورهم يوم القيامة ولا يحيون حياة أخرى ولا ترد إليهم أرواحهم ولا يقومون من قبورهم لفصل القضاء والحساب والسبب في ذلك أنه قد انتشر في زمانه في البوادي والقرى من ينكر عقيدة البعث والحساب وبزعم أن الناس إذا ماتوا انتهوا فلا عودة إلى الحياة مرة أخرى ولا رجوع ولا بعث ولا نشور ولا حساب. فأراد الشيخ رحمه الله بيان حكم من يعتقد هذه العقيدة الباطلة، وانه كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، وساق الشاهد على ذلك قول الله جل وعلا: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ طه ٥٥ أي أن أصل خلقتكم من التراب ثم تموتون بعد انقضاء أجلكم وتعودون إلى التراب فتدفنون فيه ثم نعيدكم أحياء ونخرجكم من الأرض مرة أخرى ونركب خلقكم من عجب الذنب[1]، قال الله جل وعلا: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ الأنبياء ١٠٤، ثم ربط الشيخ رحمه الله البعث بالحساب وهذا مناسب جدا لأن الغرض من بعث الناس من قبورهم واحيائهم إنما يكون لذلك ليعرضوا على ربهم جل وعلا فيحاسبهم على ما قدموا من أعمال في دنياهم.

لذلك قال الشيخ رحمه الله: (وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى) :وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)[النجم: 31] والمعنى :أن حكمة الله جل وعلا اقتضت أن يحاسب الناس بعد بعثهم مرة أخرى إعادتهم إلى الحياة ليجزيهم على ما قدموا من أعمال في دنياهم ويتميز الجزاء بتميز الأعمال فالمحسن يجازى بالإحسان ويلقى أجره وثوابه وكذا المسيء يوفى جزاءه من العقاب والعذاب فلا يظلم أحد عند الله جل وعلا، ولا يضيع مثقال الذرّ، من الأقوال والأعمال خيرا كان أو شرا عنده سبحانه وتعالى فان عذبهم فبعدله وان رحمهم ففضله

[1] كلُّ بني آدمَ وفي حديثِ مغيرةَ كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُهُ التُّرابُ إلاَّ عجبَ الذَّنبِ منْهُ خلقَ وفيهِ يركَّبُ
الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم : 2076 | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : أخرجه النسائي (2077) واللفظ له، وأخرجه البخاري (4935) بنحوه مطولاً، ومسلم (2955) باختلاف يسير

، ومع ذلك كله تُرجى رحمة الله ﷻ وفضله وعفوه فإن حاسب الله ﷻ عباده بالعدل فهو أهل لذلك، وإن حاسبهم بالفضل فهو أيضا أهل لذلك.

قال الله ﷻ : ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ الرحمن ٦٠

وقال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ الأنبياء ٤٧

قال المصنف رحمه الله ﴿وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴾ :﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن: 7]

لما ذكر الشيخ رحمه الله ما يتعلق بعقيدة البعث والحساب بعد الموت ناسب ان يذكر بعدها حكم من ينكر البعث والحساب ويكذب بذلك وانه يكفر كفرا اكبر مخرج من الملة وجاء في الآية استدل بها الشيخ رحمه الله امر الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يقسم به على ثبوت البعث والحساب والجزاء. فقال قل يا محمد ﷺ قل بلى وربي لتبعثن. وهذا فيه توكيد لحصول احياء الموتى وبعثهم ومحاسبتهم واخبارهم بما قد عملوا في دار التكليف. واحصائه ذلك عليهم. وحفظه وعرضه عليهم ومحاسبتهم وذلك أمر يسير هين على رب العالمين

قال المصنف رحمه الله ﴿وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: 165].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[النساء: 165]. وهذا فيه بيان لأول الرسل الى الخلق وهو نبي الله نوح عليه السلام وكان بينه وبين نبي الله ﷻ ادم عشرة قرون. كما صح الخبر بذلك. وكان الناس على دين واحد وملة واحدة ثم اختلفوا فأرسل الله ﷻ نوحا فكان اول الرسل جميعا ليبشروا لينذر ويدعو الناس الى عبادة الله ﷻ وحده.

قال الله ﷻ : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ نوح ١-٤

وقد طال عمره عليه السلام وطال زمن دعوة قومه حيث

قال الله ﷻ في شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت ١٤

ودعا قومه ليلا ونهارا، وسرا وجهرا وعلنا ومع ذلك لم يجد من قومه الا صدودا وعنادا واعراضا وتكذيبا وتهديدا بالرجم حتى آل أمره مع قومه الى إنجائه ومن معه في السفينة بعد أن أغرق الله قومه جميعا

قال الله ﷻ : ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢﴾ الصافات ٧٥-٨٢

وكان اخر الرسل نبينا ﷺ. وكما قال الشيخ رحمه الله فهو خاتم النبيئين، لا نبي بعده ولا رسول بعده أيضا. وإذا انتفت النبوة بعده فانتفاء الرسالة بعده من باب اولى. لأنها أخص من الاولى وقد ثبت ذلك في القرآن والسنة والاجماع ومن ادعى خلاف ذلك يكفر بإجماع المسلمين.

قال الله ﷻ : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ الأحزاب ٤٠.

وقد صح الخبر عنه ﷺ صرح بأنه قد ختم به النبيون، فهو آخرهم ولا نبي يأتي بعده. ومن ادعى ذلك فهو كذاب افاك، وجاء في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: إنّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنْبِياءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتِمُ النَّبِيِّينَ

وقد اجمع المسلمون على انه لا نبي بعد محمد ﷺ ولا رسول كذلك. به ختمت النبوة وبه ختمت الرسالة

فقال المصنف رحمه الله : وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إلَيْها رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إلَى مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى) :وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: 36].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.: ومراد الشيخ رحمه الله من هذا ان مضمون رسالة الرسل جميعا كانت واحدة. تمثلت في الامر بإفراد الله ﷻ بالعبادة بكل انواعها. قلبية كانت

أو قولية أو عملية، وكذا النهي عن عباد غير الله ﷻ وعدم الاشراك به في عبادته مهما كان هذا المعبود من دون الله ﷻ بباطل رسولا او ملكا او جنيا او حجرا او شجرا او كوكبا او غيرها من المعبودات الباطلة المزعومة. وقد بين ﷻ هذه المسألة بيانا واضحا في القرآن الكريم أنه ما أرسل من رسول في اي امة كانت الا وكلفه بان يأمر الناس بعبادة الله جل وعلا وحده. وان لا يشركوا به شيئا. وكان شعار كل رسول يبعث قوله تعالى ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ومن ثمة اعتبر الشيخ رحمه الله أن من الواجبات المتحتمات على العباد جميعا الايمان بالله ﷻ وما يتبعه ولا يكون ايمانا صحيحا مثمرا الا اذا قارنه كفر بالطاغوت فانهما قرينان لا بد ان يجتمعا في قلب كل مؤمن صادق الايمان

قال المصنف رحمه الله : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ). وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: وهذا التفسير يعد من أحسن ما فسر به الطاغوت. لكن ينبغي ان يلاحظ هنا استثناء عباد الله الصالحين الذي الذين لم يأمروا بتجاوز الحد في طاعتهم. واتباعهم وانهم يتبرأون من ذلك وعدد الشيخ رحمه الله رؤوس الطواغيت في هذه العبارة اي ان وراء هؤلاء طواغيت اخرين كثر قد يعبدون من دون الله ولا يتفطن لهم.

اما قائدهم الاكبر على الاطلاق وسيدهم ورائدهم في الاضلال والازاغة هو ابليس لعنه الله وقد ثبت أنه عُبد من دون الله واتباعه كثيرون لا يخلو منهم مكان ولا زمان ويخلد في النار مع اتباعه ويخاطبهم قائلا كما جاء في القرآن على لسانه:

قال الله ﷻ:﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إبراهيم ٢٢

وقال ﷻ مذكرا عباده الغافلين الذين خدعهم الشيطان بوسوسته وتزيينه: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ يس ٥٩-٦١

والثاني من عبد وهو راض وهذا قيد مهم يخرج به من عبد دون علم منه او وهو غير راض عن ذلك. ابدا كما هو شأن النبي عيسى عليه السلام وأمه وعزير ومن عبد من عباده الله الصالحين دون علمه ولا أمر به.

والثالث من دعا الناس الى عبادة نفسه: هذا أشر وأعظم في الجرم. والذنب كحال بعض مشايخ التصوف وغلاة الروافض واتباعهم. ممن يدعو الناس الى عبادته وتقديسه وصرف شيء من انواع العبادة اليه كالذبح والنذر والدعاء ونحو ذلك. فهذا فيه جراءة عظيمة على مقام الربوبية ومنزلة الالهية. نسأل الله العفو والعافية

الرابع من إدعى شيئا من علم الغيب: وهذا فيه دعوى لمشاركة الرب ﷻ في ربوبيته حيث انه لا يعلم الغيب الا الله ﷻ كما قال ﷻ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ هود ١٢١-١٢٣ وذلك مثل الكهان والعرافين والمنجمين الذين يدعون الاطلاع على الغيب ويكذبون على جهلة المسلمين وغفلتهم.

والخامس من حكم بغير ما انزل الله: وهذا الامر لا بد أن يكون فيه شيء من التفصيل:

فان الذي حكم بغير ما انزل الله تعالى معتقدا ان حكمه جائز او مساو لحكم الله. او افضل من حكم الله: فانه طاغوت ولا شك بل هو كافر كفر اكبر.

واما ان حكم بغير ما انزل الله وهو يعلم انه عاص لله تعالى ويعتقد ان حكم الله اولى وأحسن: انما كان ذلك منه لشهوة أو هوى أو مصلحة ويقر بذلك فان ذلك كبيرة من أكبر الكبائر ومعصية لله تعالى من أعظم المعاصي وصاحبه على خطر وعلى شفاه جرف هار وهو كفر دون كفر. كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المائدة ٤٤.

كذا ما حدث في هذه الازمنة من تحكيم القوانين البشرية بدل حكم الله ﷻ وشرعه ان كان الحكم بهذه القوانين غالبا في شتى مجالات الحياة فهذا هو الكفر الاكبر لأنه تبديل لشرع الله ﷻ بشرع البشر

والا ان كان قليلا في بعض الاحوال دون غيرها فانه معصية كبيرة يجب التوبة منها. والرجوع الى تحكيم شرع الله ﷻ الاكمل، وهذه من المسائل الانية التي كثر فيها الخوض والجدال دون علم ولا فقه ولا روية ويجب الرجوع فيها الى أهل العلم الثقاة المعتبرين الذين هم أهل الفقه والفتوى في مثل هذه المسألة الخطيرة التي زلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام وانحرفت فيها أقلام ووقع ما وقع بسببها من انتهاك للحرمات وزهق للأرواح واضاعة الأموال وتدمير البلاد والعباد عياذا بالله تعالى نسأل الله السلامة والعافية

ثم ختم الشيخ رحمه الله رسالته الطيبة الماتعة بسوق الدليل على بيان معنى كلمة التوحيد لا إله الا الله وذلك من القرآن العظيم.

في قوله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٥ وقد تضمنت الآية ما جاء في معنى لا اله الا الله من نفي واثبات :

فقوله ﷻ ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ فان الكفر بالطاغوت هو معنى النفي لا اله

واما الاثبات فانه جاء في قوله ﴿ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ والاثبات هو المستفاد من قول الا الله.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله آخر ما ذكر حديث معاذ رضي الله عنه الذي خرجه الامام الترمذي رحمه الله. وقال حديث حسن صحيح وكذلك خرجه النسائي رحمه الله وابن ماجة رحمه الله واحمد رحمه الله والطبراني رحمه الله وعبد الرزاق رحمه الله في مصنفه وهو الحديث تسعة وعشرون من الاربعين النووية وجاء في هذا الحديث جوابا على سؤال معاذ رضي الله عنه للنبي ﷺ عن عمل يدخله الجنة ويباعده من فذكر فيه ﷺ لمعاذ رضي الله عنه رأس الامر اظهار التوحيد وقمع للشرك وتقرير افراد الله ﷻ بالعبادة وحده وابطال عبادة غيره

الخاتمة :

قال المصنف رحمه الله تعالى : وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. لو تجعل لنا خاتمة شيخنا في أسطر تذكيرا لأولى النهى وحمدا لمن بديه الأرض والسموات العلى.

وختم الشيخ رحمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رسالته المباركة برد العلم الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كل ما أورده فيها من بيان وشرح لمسألة ما يعرض على العبد في قبره من الاسئلة الثلاثة المعلومة، وقد اجتهد الشيخ رحمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في

سوق الادلة والشواهد المناسبة لموضوع الرسالة ورد علم كل ذلك الى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تأدبا من الشيخ مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحسن معاملته معه. سعيا منه لطلب المزيد من التوفيق والتسديد.

- ثم جعل رحمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ آخر كلماته الصلاة والسلام على نبينا محمد عَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ التماسا للبركة بركة هذه الصلاة وتنبيها على طلب الأسوة وتحصيلا للأجر والثواب. ثم تذكيرا بصاحب الدعوة الأول الى هذه الثلاثة الاصول المتضمنة في الأحاديث الشريفة المستفيضة عنه عَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.
- وقد شعرت بأن قلمي الوفي الطيع يُلح على أن أكتب شيئا في آخر هذه الرسالة بعد اطلاعي على طلب ابن بار عزيز، وأخ طيب حبيب الى قلبي [1]من رجال جمعية مناهل الخير من مدينة الونزة التابعة لولاية تبسة وتلبية لطلبه أقول:
- يا محبا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولرسوله عَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهما أحب إليك مما سواهما، يا راغبا في الطاعة وراهبا من المعصية. يا راجيا عفو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ورحمته وطامعا في جنته وثوابه، وآملا في النجاة من عذابه وعقابه. يا طالبا الاسوة الحسنة ويا عازما على اقتفاء آثار سلفه الصالحين.
- اسمع وعِ واعمل والزم رحمني الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ واياك وأرشدك لطاعته وكفاك وجعلك مباركا أينما كنت ليس لك سبيل إلى ما تريد تحقيقه مما ذكرته لك الا سبيلا واحدا لا يتعدد ولا يتبدد. وهو ما اتفق على سلوكه العقلاء والفطناء الألباء من أهل الايمان والتوحيد واليقين. ألا وهو **الاقبال على طلب العلم النافع المثمر للعمل الصالح.**
- ولتعلم يرعاك الله أن ذلك لن يتأتى الا **بإصلاح النية وصدق العزيمة وعلو الهمة**. وتطعيم ذلك كله بملازمة الدعاء والالحاح فيه. والطلب من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الرشاد والسداد والثبات والتوفيق الامداد وهو الآمر بدعائه حين قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر ٦٠.
- اعلم يا من كنت على نفسه مشفقا ومحسنا إليها أن العمر مهما امتد فانه قصير. وأن العلم مهما حُصل فإنه كثير. وان الفرصة التي تمنح مرة فقد لا تتكرر مرة آخرى. وأن النفحة التي تعرض للعبد قد لا تمنح مرة آخرى فانه لا ينبغي للمؤمن الموحد العاقل الحصين الرزين **تضيع أوقاته هدرا فيما لا ينفع وتبديدها فيما يضره** ويعود عليه بالوباء والخسران حين عرض اعماله في الميزان.

[1] وأنا أيضا أشهد الله أني أحبك في الله وأنت بمثابة الوالد فنفع الله بعلمك ورفع قدرك وبارك في عمرك

- يا ساعيا لتأمين سيره الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والدار الاخرة. احرص بارك الله فيك على ملازمة السير في ركب قافلة التوحيد في رحلتها الميمونة المأمونة وهي تشق طريقها في زمن الغربة. ومسالك الوحشة واصغ سمعك الى حاديها وهو يسمع آذان السائر فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب ٧١

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ النور ٥٢

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ آل عمران ٢٠٠

- واعلم إنك سيتعرضك في كل في طريقك اثناء سيرك من يستوقفك ومن يثنيك ويعقلك ويشغلك وقد يجتهد في ردك وصدك عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إن وجد الى ذلك سبيلا. فاحذر ان تسمع أصوات الناعقين ونداءات المثبطين المخذلين. وتحذيرات الهالكين واغراءات الفاتنين المفتونين الضالين.
- امض لطريقك واستعن بالله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والزم غرز من سبق من أهل الايمان والعمل الصالح. والزم مجالس العلم وحلقات الذكر ومصاحبة الاخيار الابرار. الذين يقوى بهم ايمانك ويسلم بسببهم توحيدك. وتزداد بصحبتهم طاعتك لله ولرسوله عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ولا تلتفت الى غيرهم ممن حرفتهم البطالة وذبح الوقت قربانا للشيطان واتباعه. وابشر بالخيرات والثبات ما دمت مستمسكا بالحق مستعصما بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صابرا مثابرا محتسبا مفوضا جميع أمرك الى الله متضرعا مداوما على طاعته فلن يضرك شيء، **أعد زادك واحزم أمتعتك وجد في سيرك وتفطن الى اعدائك واحذر من مفتنيك واياك والعجلة والتسرع واصبر ولا تتضجر** واسمع الى من قال فأحسن

صَبْرٌ أَجَمِيلاً ما أقربَ الفَرَجَا ❁❁❁ من رَاقَبَ اللهَ في الأمورِ نَجَا

مَنْ صدق الله لم ينلهُ أذى ❁❁❁ ومن رجَاهُ يكونُ حيثُ رَجَا

ولا تنسى

كُلُّ ابنِ أُنْثى وإن طالَتْ سَلامتُهُ ❁❁❁ يَوْمًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمِلُ

كتبه الشيخ أبو قتيبة عمر بن محمد الطاهر الشابي التبسي

عفا الله عنه وعن والديه بتاريخ ١٣ربيع الثاني١٤٤٥هـ.

الموافق لـ: ١٨/١٠/ ٢٠٢٣ م بمنزله الكائن بحي يحي فارس تبسة.

فهرس

1. افتتاحية 02
2. مقدمة 04
3. ترجمة موجزة لصاحب الرسالة..... 06
4. من مزايا هذه الرسالة 07
5. توطئة بين يدي الرسالة..... 08
6. المقدمة الأولى 11
7. المقدمة الثانية 32
8. المقدمة الثالثة..... 51
9. الأصل الأول..... 59
10. الأصل الثاني..... 106
11. الأصل الثالث..... 145
12. الخاتمة 170

الموقع الرسمي للشيخ
أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

تمت